

هدية خزانة كتب الكلية اصلاً حية في
أمة صمد صاحب المقنن
محمد كرد علي

دمشق (بقيت)
١٣٢٩

المقنن

مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والادب والتاريخ والآثار واللغة
وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL - MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas (Syrie)

Pédagogie, sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménagerie, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

المشتمل

محمد كرد علي

المجلد السادس

١٩١١ - ١٣٢٩

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف

وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

ABONNEMENT 13 FRCS

طبع بمطبعة المقنن بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة السادسة

يفتح المقتبس سنته السادسة بحمده تعالى ان يسر له قطع شوط صعب عده شيئاً في
عمر المجلات . ويقتبط اليوم ان يرى له مولعاً من نفوس العلماء والادباء ومكافئاً من
مجامعهم وانديتهم وسبيل الى الانتشار بين اغصانها في كل بلد يتكلم اهلها باللغة العربية
او يرغبون في تلتقيها . ويعود في هذا عتراء على ان يتعامد كل امر كما عودهم بنشر الابحاث
النضيجة مشبهة اياماً دراسية وتمحيصاً . اساعده بينته ومادته فيثقل للشرقين ما يبرزه
عقول الغريين ويمثل للغريين ما ينتجته فرائح الشرقيين من الافنديين والمحدثين ويعنى
من المباحث غناية خاصة بعلوم التربية والعلم والاجتماع والاقتصاد واللغة والادب
والتاريخ والآثار وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب ولا يهتزم
لعلوم الاخرى الا بقدر ماله علاقة بالوضع ويتحاشى عن مس العواطف الفهية والمنازع
السياسية مملأ بالخطبة التي رسمها في اول جزء صدر منه على ضفاف النيل
ولقد حيا الزمان لهذه المجلة طائفة من العلماء الباحثين والكتابتين المفكرين اخذوا على
انفسهم كما فعلوا في السنين القليلة ان يوانوها اثابهم الله الشهر بعد الشهر بخلاصة
ابحاثهم ويعلموا الناس مما علموا وزكوا وهذا مما يزيد الثقة بهذا العمل العلمي وعمل
الجماعة امتع واففع وعمل الفرد لا يخلو من ضعف وضوؤة . رهاك اسماءهم افراراً بافضالهم
على العلوم والآداب :

احمد بك ثيمور (القاهرة) احمد بك زكي (القاهرة) امين افندي ربحاني (نيو يورك)
الشيخ جمال الدين القاسمي «دمشق» جرجي افندي الحداد «دمشق» خليل افندي
رفعت «دمشق» خليل بك سعد «بيروت» رشيد افندي بقدونس «سلانيك» رفيق
بك المنظم «القاهرة» زكي افندي الخطيب «منجيار» صلاح الدين افندي القاسمي «دمشق»
سائب «بغداد» سليم افندي البخاري «دمشق» شكري افندي العسلي «دمشق»
الشيخ طاهر الجزائري «القاهرة» الدكتور عبد الرحمن شهبندر «دمشق» عبد القادر
افندي المغربي «طرابلس الشام» عبد الله افندي مخلص «حيفا» عبد الوهاب افندي
الانكليزي «الباب» عيسى افندي اسكندر معلوف «رحلة» فارس افندي الطوري
«دمشق» فارس افندي فياض «دمشق» عمو شكري افندي الآلوسي «بغداد»
يوسف افندي جرجس زخم «نبراسكا»

كتاب البئر

من مصنفات امام ائمة اللغة والادب ابي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي

توفي سنة ثلاثين ومائتين

رحمة الله عليه

ترجمته في ص ٢٠١ من كتاب نزعة الادباء

عني بنشره وتعليق حواشي السيد محمود الشكري

AL-AQSA MOSQUE
JERUSALEM

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ الامام ابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن الخشاب القمي قراءة عليه
والما اسمع بجامع الناصر من مدينة السلام يوم الجمعة ثالث شري شهر الله الاصم من
سنة خمس وخمسين وخمسمائة . قال اخبرنا الثاني ابو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن
الغراء قال انبأنا الشيخ ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري ، قال اخبرنا ابو عمر محمد
ابن العباس بن جبويه الرزاز قراءة عليه في شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثمانمائة .
قال قرأ هذا الكتاب ابو الحسن الرزاز علي بن محمد الله محمد بن احمد الحكيمي
سنة اربع وثلاثين وثمانمائة وانا حاضر اسمع قال - حدثنا ابو العباس احمد ^(١) يحيى ثعلب
عن ابن الاعرابي قال وقرأه الرزاز ايضا علي ابي عمر محمد بن عبد الواحد غانم ثعلب
لكي معنى التصحيح قال : حقه البئر عن ابن الاعرابي .

قال واخبرني ايضا الشيخ الامام المهذب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن
ابن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك اسلمي الرقي قراءة عليه بمدينة السلام في منزله
في شعبان من سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسمعه ايضا من قراءته قال : اخبرنا الشيخ
الحافظ ابو الفضل محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي والفقيه ابو الحسن
سعد الخير بن محمد بن سهل الانصاري قراءة عليه اسيف مفر سنة اثنين وثلاثين
 وخمسمائة فافهمه قال : اخبرنا الشيخ ابو الحسن ابارك بن عبد الجبار الصدوفي قراءة

(١) كذا الاصل وفي كتاب نزعة الادباء في طبقات الادباء ابو العباس احمد بن
يحيى بن زيد بن سيار الزبيري القوي المعروف بـ ثعلب كان امام الكوفيين سيفه النور
واللغة في زمانه الى آخر ما قال

عليه في يوم الجمعة خمس عشر صفر من سنة احدى وتسعين واربعمائة فافترقه قال : اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهرى قرآءة عليه وانا اسمع في الحرم سنة احدى وخمسين واربعمائة قال : اخبرنا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا ابن حيويه الحرزى قرآءة عليه في يوم الاربعاء النصف من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال قرأ ابو الحسن الرزاز رحمه الله تعالى على ابي عبيد الله محمد بن احمد الحكيمى سنة اربع وثلاثين وانا حاضر اسمع . قال : اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى . ثعلب عن ابن الاعرابى وقرأه الرزاز وانا حاضر اسمع على ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب على معنى التصحيح قال :

صفة البئر

عن ابن الاعرابى قرآءة على ابي العباس احمد بن يحيى النخعي عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابى قال : يقال للارض اذا لم يكن فيها حفر فحفر فيها « ارض مظلومة » قال الشماخ :

وأُس رماد كالجمامة مائل ونوْيان في مظلومتين كلاهما

ويقال اذا حفر قعدة الرجل او تعدتين قيل « حفراوقة »^(١) او اوقتين « قال الشاعر والنمى الراعى لها بين الاوق »^(٢)

قال ابو عمر هو اوقفة بالفتح وجمعها اوتن كذا سماعي من ثعلب قال ابو العباس الاوق بئر الصائد التي يستتر فيها من الوحش فاذا ابتدأ حفر البئر فمي بد ، فاذا حفر الى اسفل قيل قد اعتمق واعتمق وحفر معيق وعميق واذا اخذ جانبا قيل قد جلف^(٣) قال الشاعر اذا انتهى معتمقا او جلفا

ويقال لجانب البئر الجال والجلول وانه لغير ذي جلول اي انه قليل العقل وانه لغير

(١) وفي القاموس الاوقفة الجماعة وبالضم الزكية مثل البالوعة في الارض

(٢) الرجز لرؤية وآخره « في شيل قصبا وخيس مختلق »

(٣) « المجنب الذي يحفر في ناحية من البئر والتلطف التحفر في نواحي البئر وجلفت البئر تلجيفا حفرت في جوانبها وفي حديث الحجاج انه حفر حفرة فلجفها نال العجاج يصف ثورا :

بسلبين فوق اذن ادلفا اذا انتهى معتمقا او جلفا

قوله بسلبين اي بقرنين طويلين

متماصك الجبل يقال ذلك للرجل اذا كان يحمق فاذا حفرها حتى يبلغ الماء قيل قد انبطها والماء هو النبط وفطرها اذا كان هو ابتدأها واختصم الى ابن عباس رضي الله عنهما رجلان في بئر فقال احدهما بئري انا فطرتها اي ابتدأتها واستخرجتها .

فاذا انفذتها في الجبل قيل بئر خفيف وهي التي خسف جبلها قال الشاعر :
من الكلى في خسف رويا
ويقال حفر حتى اعان واعين اى حتى استخرج الماء وحفر حتى اصلد اذا وقع على موضع صلب او على حجر وكذلك اكدى قال ابو زيد :

يا عم ادركني فان ركنيت صلدت فاعيت ان تبض بآئها
وحفر فاجبل وقع على جبل واسهب وقع على رمل او تراب يغلبه
ويقال لآراب البئر البغيضة والبيشة^(١) والثيلة والثلة والسفاة قال الهذلي :
وقد ارسلا فراطهم فتائلوا قليبا سفاها كالاماء القواعد
ويقال ماء نمر اذا كان يوافي الشاربة ويجمع في جلودها واجسامها عذبا كان او غير ذلك قال حاتم :

وشربت بالماء النخير ولم اترك الا لحم حمأة الجفر
وقال آخر :

قد جعلت والحمد لله نقر من ماء عد في جلودها نمر
قال ابو عمر : نقر تسكن من قولك وقر يقر اذا سكن ويقال ماء شريب عذب
وشريب ايضا ثقيل وآء مأج وقد مؤج مؤج مؤجة ومياه مأجة

واسماء البئر

الركبة والجمع ركبا . والتليب والجمع قلب . والفقر وهي التي فقر جبلها فانخذت حدبنا . والطوي والجمع اطواء . والبدني وهي الجديدة الحفر وهي الواسعة الرأس لانها ربما تقوضت واتسع رأسها وربما كانت غير بيضة القمر . والبدني حين تبدأ وهي

(١) قال ابو زيد بنث بنث بنثا مثل نبش نبش ودو الحفر باليد والنبشة تراب البئر والنهر قال الشاعر

وان نبثوا بئري نبث بئارهم وسوف ترى ماذا ترد النبائث

وخيث نبث اتباع

الفرج وقال بعض الاعراب البدي يحفر للغرس يريد الغليل والماتح^(١) يضع رجلا
على هذا الجانب ورجلا على هذا الجانب الآخر .

والبدي مربعة وهو يمتد منها يد وبه زهرة فاذا دور . أسها فهي القلب ويقال نعم البئر
تصونها وجربها جوفها من اعلاها الى سفها ويقال بئر شديدة الجراب اذا لم تحتاج ان
تطوى والبئر والركبة الثيان والقلب والطوي ذكران قال ابو عمر : القلب والطوي
بذكران ويوشان والشطون من الركبا التي في جوانبها عوج لا يخرج دلوها الا بجحان .
فاذا طويت تجذب فهي مخرشة وقد عرشت تعرش عرشا والمزبرة المطوية بالحجارة
وغير الحجارة يقال زبرتها زبرا وضرسها^(٢) انصرها ضرسا طويتها بالحجارة واذا استقي
بالدلو من البئر باليد قيل بئر متوح واذا كانت على بكرة يترع باليد ترعا قيل ترع ونشوط
التي انما حملها نشطة واحدة وبئر انشاط اذا خرج دلوها بجذبة واحدة قال ابو عمر : انما
هو انشاط بالفتح جمع نشط قال ابو محمد يوسف بن الحسن : روى الطوسي وغيره انما
بالكسر ويموز انشاط بالفتح جميعا ويقال ماء رفق وهو القرب الفسا القصير الرشا
وماء عضوض بعيد القعر وانتدنا

ايوت على الماء المضروس كأنني رقبوب وما ذو سبعة رقبوب
وماء مدرع^(٣) قارب من المريع قال ابو عمر : انما هو مدرع بفتح الراء واسط بعيد
وماء مطلب اذا ابى ان يطلب وبئر قحوض وبروض ورشوح والاصل رشوح بالميم
قال ابو عمر : انما رشوخ بفتح الميم ومكمل هي التي يجتمع ماؤها قليلا يقال قد اجتمعت
فيها مكلة واذا كانت لا يؤخذ ماؤها الا غرقا فهي قد دوح وبئر قدسها اندحها اندحا
واذا كانت باقي ماؤها مرة وبذهب أخرى فهي الطنون واذا كانت اذ استقي ماؤها

(١) وفي كتاب المتعد المنهم لابن الجوزي الماتح بالثاء المشددة من فوق الذي يستقي
من فوق والماتح بالثاء من تحت الذي يستقي من داخل البئر قال وهذا من امرار اللفظ
بسبب موافقة اللفظ للمعنى وقد اظن في بيان ذلك

(٢) والضرس بضم الصاد الحجارة التي طويت بها البئر قال الرازي :

اما يزاد قائل ابن ابي الوك عن جد الضروس والين

وبئر مضروسة وضروس اي مطوية بالحجارة

(٣) وماء مدرع كحسن ومسلم اكل ما حوله من المريع فاعده قليلا وماء اسط بعيد

من الكلاء

جبت بماء آخر قيل بئر هجوم واذا كانت اذا قلت الامطار قل مأوها قيل بئر قطوع
واصاب الناس قطعة اذا غار مأوهم واقطع الماء وهو مقلع وقاطع وقد قطع
واذا كانت البئر حبلها عن لعوج في جرابها قيل بئر بيون وبئر زوراء وقد حول اذا
كان في خلقها عيج واذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى نحر بها قيل بئر ضيطة وبئر
مأجورة مثلها وبئر سلك اذا كانت ضيقة وانشدنا

صبحن من وخبى قليبا سكا

قال ابو عمر: وخبى شجرة وبئر بئر ذمة قليلة الماء وبئر فراط وهي التي من سبق
اليها ايس لاحد ان يذمه وبئر هجوم مريضة رجيع الماء ويقال للماء اذا خرج من عينه
فارتفع في البئر جم يحجم بها والماء نفع الجم ويقال استقى من جم بئر وكال الغوي
وسئل ما مالك فقال ساحات فيج وعين هن هن غريبة من ركس الجم اي يحجم مأوها مريضا
وعن هن هن الماء الصراب هن هن قال ابو عمر: سألت ابا العباس عن هذا الحرف
مرارا فقال هن هن الى لفظ عديد قل واذا كان ينرف م بها باليد قيل بئر غروف واذا
دام مأوها في المطر والبيط قيل بئر وائنة وقد رقت تن وتونا واذا كانت كثيرة
الماء قيل بئر قلينم وانشد

ان لنا قليدما موصا يزيدنا مخن الدلا جموا

واذا لم يزع مأوها قيل بئرها لا يكف ولا يكش ولا يوي ولا يفض ولا
يغرض ولا يفتح وبئر سمير والخصرم والعلم المزيرة وبئر ماعة وبئر مئة كثيرة الماء
وبئر نبط التي يخرج مأوها من عرضها ويقال للبئر اذا قل مأوها غار ينور غررا وغورا
وقد نكرت ايضا قل

فقلت باعراف كان عربونها الى الشمس بل تدور كي نواكر

أنكرت تنكر نكوزا وهي ناكرو واذا اندفت ثم اخرج ترابها وليست بجديد قيل
بئر نول والبع نل واذا اندفت قيل بئر دفن ودنان واذا عطلت حتى تغرب قيل
بئر سدم والجمع اسدام فاذا كانت تادية فالتقطت والقيامهم اياما وقوعهم عليهم قيل
بئر لقيط وبئر خاية ملها وكانت تدية لامة من الام فالتقطت وعدا كان نبة من
الارض يحجم عشرين ان ثلاثين فامة واذا كان في بئر حجر نادر فوالعنا يقال اصلح
عقاب بئر ك فيخرج حجرا في الذي في تدمه ليقوم عليه نال والعمية ان يجذب السيل عن
حجر نافي في جانب البئر قال :

لوان سلى شهدت^(١) مطلي تمتع او تدلج او تعلو
إذا لراحت غير ذات دل

وقال آخر:

أكل يوم قائل أين أبى دلوك عن حد الصفيح والابن
والثمت ان تكون كالبئر الا انه لا تكون من عبون اذا انقطع حفر ذراعان او قامة
فيخرج فيشرب اياماً ثم ينقطع والحصى دأتم لا ينقطع والجمع^(٢) احساء وحساء . والحصى
يسمى الكر واذا تغير الماء في الثليب قيل قد عرمض وسبحس الماء في القلب وهو العصرى
والعصرى مقصوران يقال ماؤها صرى فاستقى من غيرها ويقال أجن وأسن بأجن
وبأسن اسنا واجونا وأسن أسنا واذا علته جليدة من طول الترك قيل دوى بدوى ندوية
وماء داو كما ترى فاذا علته خضرة قيل قد طحلب وعرمض وغلقي ويقال بئر ذات
طاق اذا كان فيها دور وهي حروف نادرة وعرش البئر خبائها التي يستظل بها عليها
يطرح النعام قال الراجز:

أكل يوم عرشها مقبلي حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السيد الفصيل

ويقال محشوشة وحشوا بئر كم اى اكوها وبئر مجهودة اذا نقيت حتى حماتها ويظهر
حرطبتها فقد جبرت فجهر جبراً والاذاء حجر يجعل في مصب الدلو لئلا يخرق الماء الحوض
وهو في بئر الماشية والابل وفي بئر القرع والقف والدعامة مقام الساقى في اعلى البئر
وانما سميت دعامة لانه يدعم بها طي البئر فيضعطه وهما شجرتان يدعمان طي البئر
قال الشاعر:

لما رأيت انها^(٣) لا قامه وانني ساقى على سامة
جذبت جذبا^(٤) زعزع الدعامة

والثابة مقام الساقى انشد ابو الجراح .

يا عين بكى عامراً يوم النهل قام على مثابة زلج فول

والشجار خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع او ذراعين

(١) ابصرت نسخة (٢) ومنه سميت الاحساء البلدة الشهيرة قرب البحرين لكون
مياهها كذلك (٣) انه نسخة (٤) تزعت نسخة

عارضة اخرى والنعامتان خشبتان فيما بين العارضتين سيف كل جانب واحدة فتألك
النعامتان وفيها المحور والمحور مشدود بجبل الى العارضة وانشد

لولا الزمام افنم الاجاردا بالغرب او دق النعام الساجدا

واذا كانت عارضتا البكرة وعضدها من حديد كان او خشب الواج فيها والبكرة
اذا كانت على ركية جرود فهي محالة الابل واذا قلوا تعوب فهو خشبة مدورة عظيمة
لما استبان فيها كامن الرحي قال الشاعر .

كان صوت نابه الاذب صريف خطاف بقعوق

وبال الذي يجري عليه الحبل من البكرة الحوت واذا كان الشحاران من بناء طين
او حجارة فمما الزنبرقان والقرنان قل الشاعر

تأمل القرنين فانظروا لها اجرا ام مدرا تراها

فاذا وقع الحبل من البكرة وعضدها قبل مرس الحبل وامرسته انا فيقال امرسه
اي اخرجته قال الاعر .

بش مقام الشيخ امرس امرس اما على قعو واما اقعفس

والمرس اسم الحبل قال ابو العباس امرسه القاه بين الخد والبكرة وامرسه اخرجته
وقد مرس الحبل نفسه قال الشاعر .

ولا تلسوا لي الارض ثيبا زنتي اخاف عليكم ثاقي حين تمرس

في نوادر ابن الاعرابي وليس من الكتاب

ولا تلسوا لي الارض ثيبا فاني اخاف عليكم حقي حين تلس



هذا آخر كتاب صفة البئر عن ابن الاعرابي

في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتاز بنا سهول حوران وجزءاً من وادي الأردن والغور ومعالم البلاد التي سردنا بها تبعث النفس على النظر والعين كل التحديق والفكر على التأمل لما جرى فيها من الوقائع والحوادث في سالف الاعصار وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت مهوى افئدة اهل النصرانية في العالم على اختلاف الاعصار والاقطار لحرية بان تزار معاشطت بتاصدها الديار فما بالك وهي الآن مناتى بضع ساعات في قطار البخار . وان بلاداً مضي على ابناء اسرائيل الوف من السنين وهم لم يياسوا من استرجاعها الجديرة ان يخف اليها كل من يروم البحث في اجتماع الامم واقترافها

يحد بلاد الجليل شرقاً الأردن^(١) وجنوباً الكرمل وجبال افرايم وغرباً ببحر الروم وشمالاً فينيقية ولبنان وتسمى هذه البلاد جليل الامم لكثرة الامم فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة خدمته جبراً فدعي جليلاً وكان تلاميذه جليليين ماندا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال بوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلاً انهم كانوا يقرنون على استعمال كل انواع الاسلحة منذ الصغر . وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين وآل خراب اورشليم الى نجاح الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية وقتل اليها السنهدريم « مجمع الامة العظيم » فجعل اولاً في اوشته وهي الآن خربة هوشته قرب شفاعمرو ثم نقل الى شفرام وهي الآن شفاعمرو ثم الى بيت شعرايم وصفوري وطبرية وكانت الجليل متسومة الى قسمين الجليل السفلى وطولها من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالت قرب نابور الى بير سبع (غير بير سبع في الجنوب) وكان فيها على رواية بوسيفوس ٢٤٠ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠ من السكان والجليل العليا طولها من ميلون غرباً الى طلة قرب الأردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة على حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبرانية الدائرة او المنطقة^(٢) وكانت تطلق خاصة على القطر الشمالي

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للنس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة الجديد بدستمان - P. Barnabé Meister
mann. Nouveau Guide de Terre Sainte 1907

من ارض الموعد وفيها عشرون مدينة اعطاها سليمان الى ملك صور لقاء خدمه في عمارة
العبد في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتهت اسمها
جليل الامم وكانت بلاد الجليل تمتد على عهد عيسى الى مغاف بحيرة طبرية ثم دخل
فيها سهل يزرعيل «مراج ابن عامر» وعلى عهد السيد المسيح كانت عبارة عن ارض عازر
ونفتالي وزبولون وازياخار وظلت منتسمة الى جليل الى جليل اسفل الاول تمتد الى
شمالى الخط الممتد من عكا الى كفر ناحوم والثاني يدل فيه القسم الجنوبي

ويمكن على الجملة ان يقال ان ارض الجليل واتعة اليوم في الجهة الشمالية من بلاد
فلسطين بين لواءى عكا ونابلس وفي الجهة الغربية من نهر الأردن ويدخل فيها قضاء
صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء جنين ومن اعمالها مرج ابن عامر وكانت
اهم مدن الجليل بطول مايس التي اصبحت فيما بعد عكا^١ وصفورية والناصرة وكفر كنا
ويشولي وكفر ناحوم وسكانها كما هم الآن مزيج من امم مختلفة واهم عناصرتهم اليهود
والاشوريون وكان هذا الاقليم على عهد ظهور النصرانية عاراً جداً بالسكن غنياً مزهراً
وله حياة سياسية كاله حياة دينية وجميع انواع العبادات والمذاهب تجري فيه حرة
مطلقة لاشي^٢ ينقص عليها امرها وتكثر فيه النباتات والزهرة من كل نوع وفيه غابات
كثيرة كان يستخرج منها خشب السفن

وعرف العرب ارض الجليل بجبل الجليل فقال ياقوت ان جبل الجليل في ساحل
الشام تمتد الى قرب حمص «كنا» كان معاوية يجلس في موضع منه من يظفر به من
يزيد بقتل عثمان وقال ابن الفقيه وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب
من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها فار النور قال وجبل الجليل بالقرب من
دمشق ايضاً وهو جبل يتبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحبل وما كان
بالأردن فهو جبل الجليل وهو بدشقي لبنان ويجمع سنير وهذا التعريف اقرب
الى الجلاء من غيره . وقال ابن عساكر ان جبل الجليل من اعمال صيدا . وبيروت من
ساحل دمشق . وهو تعريف حسن في الجملة قال ابو قيس بن الاسات

فأولاً ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بندي شكول

ولولاً ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل

ولكننا خلقنا اذ خلقنا حثيف دننا عن كل جيل

قلنا ان ارض الجليل كانت معترك الامم والاديان من قديم الزمان ولقد جاء عليها عهد ايام الرومان كانت فيه الاديار والبيع والمعابد مبثوثة في كل بقعة من بقاعه وقرية من قراء ولما فتحها المسلمون تعلموا اهلها بالرفق واقرؤهم على عبادتهم شأنهم في فترحاتهم ولكن دالت الدول وكثرت الاعصار وجيشت ملوك اوربا على الشرق جيوشها في القرون الوسطى وكانت الحرب الصليبية سجلا بين المسلمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهدمة وآثار البيع والاديار معنفة دائرة واشجار ذلك الصقع وغاباته مدمرة وكثيراً من مدنه قرى صغيرة او مزارع بارّة

خربت هذه الديار بادوار اتت عليها كان القول انفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الصليب من امم اوربا كلما ارادوا ان يرجعوا ادراجهم ويتخلوا عن هذه الارض يحجز ارواحهم حافز من النساسة والشمامسة ومن لف لقمهم من حملة الدين فيلقون بانفسهم في آثر صعبة ويركبون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردهم جيوش المسلمين عن استباحة حرم الاسلام لان فلسطين اوسورية اذا ملكها الافرنج يضيع الاسلام المسجد الأقصى ويوشك ان يكون اخطر محدقا بالحرمين الشريفين مبعث الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك هاجم الصليبيون هذه الديار بسائق الدين ودافع عنها المسلمون بسائق الدنيا والدين فكثرت الغلبة لاهل هذه البلاد وقتلا ظفر مهاجم ورجع الدخلاء عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والغامر واصبحت قراء جرداء لا تعبد فيها خضرًا ولا غضرًا .

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل ولها شأن مذكور بين مدن تلك الارياض اُسست عام ١٧ للمسيح على يد هيرودس انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وسماعا بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراما لحامييه الامبراطور طيباريوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع المدينة الحالية اولاي حوالي الحملات المعدنية ويسمى اليوم ذاك المكان بخربة الحمام وذلك لانه اكتفت مدافن وقبور في مكان المدينة القديمة فابى اليهود ان يكتسوها لان خرق حرمة المدافن بعد عندهم من الكبار . ولم يستطع هيرودس ان يسكن طبرية لاول انشائها الا باناس من طبقة واثمة انعم عليهم بانواع الاحسان واغدى عليهم الاعطيات ترغيباً لهم ولما توفي عليها عهد الامبرطور فيرون الى اغرية الغنى بالولاية اعياها سنة ٤١ فلم يكن منه الا انه استعمل طبرية عن مكانتها واختار صفورية لتكون عاصمة الجليل ولما انتفض اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوسيفوس ان يكون ولياً على

الجليل الاسفل والاعلى فخص طبرية وكان يشاء اليهود تقوذا الدولة على الشافرين من اهلها . واستسلم اهل طبرية للسياسيين ونفخوا له ابوابها لما دخل الجليل حينئذ فكان ذلك سبب انعام الرومانيين عليهم وبسروب الاحبار بعد خراب بيت المقدس . ولئن صحق الامبراطور اذريانس الابنة الاسراييلية انشأ له معبدا في طبرية لاجلته الاوثان فقد ظل تنوذ اليهود مستحكما بعده . وان عند اليهود طبرية يخرج شرعية اسرائيل من المدن القدرية فان لرباين منهم اختاروها وبنوا فيها معبدا . وجعلوها معبدهم الجديد وسيفه اواخر القرن الثاني انتقل من مغربية الى طبرية كزار رجال الملوك عتدم ونشأ منهم ربانية عظماء يقدسونهم ويمجدونهم ومنهم الذين جمعوا المعبر من شرعية اسرائيل ودخلت النصرانية في القرن الرابع الى طبرية .

فقد طبرية ^{١١١} على يد شرجيل بن حنة في سنة ١٣ هـ مسلما على أهدافنا زلم وكناسلم وقيل انه حاسرما ايلاناً ثم صالح اهلها على ان يقدموا له واولم ركنا ثم الا ما جلوا عنه وغلوه واستثنى لمسيود المسلمين موضعاً ثم تقصوا في خلافة عمر رضي الله عنه واجتمع اليهم قوم من شواذ الروم فسير ابر عبيدة اليهم عمرو بن العاصي في اربعة آلاف ونفحها على مثل صلح شرجيل وفتح جميع الأردن على مثل هذا الصلح بشير قتال قال يانوت وهي بايدة معلقة على الجعيرة المعروفة بجعيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وهي من اعمال الأردن في طور النمرية . وبين دمشق ثلاثة ايام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يومان هي مستعيلة على الجعيرة وعمرتها قبل حتى تاتي الى جبل مغيرة لعمده آخر العارة

ولما فتح الصابريون بيت المقدس اقطع ملكها غنود فرى دي بوليرن ولاية الجليل . الى تنكريد لجعل حاسمتها طبرية فأنشئت مدينة حديثة شمالي القديمة وهي الموجودة اليوم وفي سنة ١٨٧٢ اقبل وقعة حطين ^{١١٢} كان تلك طبرية ترمون الثالث كوت طرابلس فسقطت المدينة بيد صلاح الدين الايالة وكان فيها امرأته اولاده فمالت الامان من صلاح الدين فأمنها وانصرفت عنها تلحق بزوجها ونجحت مايربة في سنة ١٢٣٩ ملكاً لاودي مويلارد بموجب معاهدة عقدت بين الملك الصالح ايوب سلطان دمشق ضد ملك مصر فاستعادها هذا بسد خمس سنين وزبح الحامية وناصري فيها يقول

(١) مع البلدان

(٢) دليل الارض المقدسة

الافرنج واخذت هذه المدينة بالانحطاط حتى ان الرسالة كارسيموس لما زارها سنة ١٦٢٠ لم يرف فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين وحكم طبرية ظافر المعمر حاكم عكا وهو الذي بنى سورها المتهدم الحالي سنة ١٧٣٨ وجمده ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصبحت بعد اربع سنين من هذا التاريخ يزوال لم يبق منها ولم يذر هالك فيه سبعة اشخاص وقوضت اركان ابنتها كافة وقيل سكانها المسلمون ونزلها يهود من اطراف الارض وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لا يقلون عن سبعة آلاف فيهم انساوي والبرلوني والرومي وغيرهم

واما في طبرية حماماتها ويحيرتها قل علي بن ابي بكر المصري : اما حمامات طبرية التي يقال انها من عجائب الدنيا فليست هذه التي على باب طبرية على جانب البحيرة (المعروفة اليوم) فان مثل هذه كثيرة ما رأينا في الدنيا واما التي من عجائب الدنيا فهو موضع من اعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهي عمارة قديمة يقال انها من عمارة سليمان بن دارد وهو هيكلي يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من اثني عشرة عيناً كل عين مخصوصة بمرض اذا اغتسل فيها صاحب ذلك المرض ربي باذن الله تعالى والماء شديد الحرارة جداً صاف عذب طيب الرائحة ويقصده المرضى في قنفون به وعيون تصب في موضع كبير حار يبع الناس فيه ومنفعته ظاهرة وما رأينا ما يشابه الا الشرميا قلنا وان ما يشير اليه من الحمامات بانه في واد بعيد عن طبرية وهو من عجائب الدنيا يشير فيما نحسب الى «الحمة» الواقعة في وادي اليرموك على طريق الخط الحديد عند الكيلومتر ٩٣ و ٩٥ (١) قال ابو القاسم في وصف حمة طبرية وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لا تحتاج الى الوقود تجري ليلاً ونهاراً حارة وبترتها حمة يغمس فيها الجرب وبها يمسح الغور ينثا وبين بيسان حمة سليمان بن داود عليه السلام ويؤمنون انها نائمة من كل داء اه

وهذه الحمة الاخيرة اي حمة سليمان لا تزال الى اليوم معروفة بجمام سيدي سليمان وهي احدى الحمامات الثلاثة في جنوب طبرية على نحو كيلومترين منها ويجري الماء الى الحمامات من اربع عيون حارة واما ما بناه ابراهيم باشا وهو في الشمال ويعرف باسمه وهو عبارة عن حوض كبير تحيط به عمد قديمة من الرخام وتليه قبة عظام وهي مشقوبة بشقوب اسطوانية يخرج منها البخار ودرجة حرارة الماء ٦٢ بالميزان المثوي وهو صاف

براق في الجبل ملح الطعام مرهوق وتبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد. وهذه الحمامات ملك الحكومة توجرها من تبريد لقاء الف ليلة في السنة وفيها مغاطس في مكان آخر قد يغير صاحب الحمام مياهها في الاحايين ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاربعة غير صحيحة لان اناسا كثيرين من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جراثيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيخسر بانغماسه في هذا الماء من حيث يريد الريح ولورببت هذه الحمامات ترتيباً صحيحاً كما هو الحال في حمامات مارينباد في النمسا وبورصة في الاناضول وحوان في مصر وأثبتت هناك كما هو رأي بعض المفكرين في عمران هذه الديار للانتفاع بخصائصها الطبيعية فنادق وحدائق واماكن تتوفر فيها لوسط الراحة ومرافق الحياة جلبت المستجمعين في هذه الحمة من اقطار الارض كما تجلب حمامات بورصة وحوان ومارينباد وباد

وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران^(١) وتختلف الحرارة في الصيف في طبرية من ٢٥ الى ٤٢ ولكن الهواء حسن في الجبل فلا يؤثر في سكانها الاصليين كثيراً بقدر تأثيره في الغرباء ولذلك صدق ما قاله فيها ابو عبد الله ابن البناء : طبرية قصبة الأردن بلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف وخمة وبثة وطولها نحو من فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمقابر على الجبل بها ثمان حمامات بلا وقيد حارة الماء والجامع في السوق كبير حسن فرش مرفوع بالحصى على اساطين حجارة موصولة ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث وشرين يلوكون يعني البقي فانه كثير عندهم وشهرين يشافقون يعني بايديهم العصي بطردون الزنايير عن طعومهم وحلاوتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر وشهرين يخوضون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طبرية جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم من البحيرة وحول البحيرة كله قرى متصلة ونخيل فيها سفن كثيرة وهي كثيرة الاستماك لان طيب لغير اهليها والجبل مطلق على البلد وماءها عذب ليس بمحلول.

ويرى اطباء العصر ان مياه طبرية الحارة ترفع النساء في وظائفهن التناسلية وتؤتي كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومن امراض الرثية « الروماتيزم » ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء النقرس ومن البول السكري ومن المدة السوداء.

« لا برخندريا » ومن امراض اعضاء التناسل ومن الاورام المنفالية التي هي في حال الوقوف كما قد تنفع في التهاب قصبة الرئة « ريونشيت » المزمن وبعض امراض الانس والمانجرية المزمنة والامراض الجلدية وعدم انتظام حركة سلسلة الخنثار واختناق الرحم والبول الزلالي والشدون الرئوي وغيرها

اما بحيرة طبرية فقد قال فيها واصفها من الارننج انها الخوض الثاني الذي يملأه نهر الأردن في طريقه عند انحداره من قيسارية الى بحيرة لوط وسطح مائتها على ٢٠٨ امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة ٤٥ متراً في وسطها ولا يملكه يبلغ ٢٥٠ متراً في الحجج المجاورة للشالي* الجنوبي من البحيرة اي قُرب سمخ التي يركب منها الى طبرية في قارب في البحيرة ساعة او يركب في مركبة على اليابسة ساعة ونصفاً.

وطول البحيرة ٢١ كيلومتراً من الشمال الى الجنوب وعرضها تسعة كيلومترات ونصف اي ان مساحتها السطحية ١٧٠ كيلومتراً مربعاً ومياهها قابلة للشرب في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك الجيد والجلال التي تقيط بالبحيرة في الجنوب الغربي تنفرج عنها في الشمال الغربي يتألف منها نصف دائرة متسعة وفيها يكون سهل الدير *Genesareth* الخصب وتلي ثمانية متر من البحيرة الى الانابي عدة قرى وبينها مدينة صفد القديمة وفي الشمال من البحيرة سهل عموش *Omush* يشعربص الأردن وفوق السهل المتوج الذي يفصل بحيرة طبرية عن بحيرة الحولة او مياه ميردم *Les eaux de Mérom* تنظر الى قنن جل حرمون (الشيخ) المسكلة بالثلج ويحد البحيرة من الشرق والجنوب الشرقي منحور عالية هائلة يبلغ علوها نحو ثلثمائة متر وهي تحمل سطح الجولان *Gaulanitide* وفي الجنوب بفرج الغور ثمانية فيمتازه الأردن ويملون فيؤلف اضواجا *Méandres* عديدة

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنزيت اشارة الى شكها البيضي الذي يشبه عود الطرب واسمه بالعبرانية كنزور على ان هذا الشكل هو عام في جميع البحيرات التي تقيط بها الجبال ويختازها نهر وكانت كنزيت معروفة قبل العبرانيين من مدن الكنعانيين وبعد سبي بابل دعت البحيرة ببحيرة الفري اخذاً من اسم السهل الخصب الذي يصل الى شواطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد ببحيرة الجليل وبحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي اطلته عليها العرب

ولم يخل هذا البلد على حرارته من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

بد في خدمة المسلمين مثل الامام الحافظ سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير ابي القاسم الطبراني « احدا لائمة المعروفين والحفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين والمشايع المعمرين المصنفين المحدثين والثقات الاثبات المعدلين » وغيرهم ممن يفتي الدهر والخلف يتناقل عن السلف اعمالهم

وكان الأردن على عهد الفتح الاسلامي احد اجناد الشام الخمسة^١ وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قل احمد بن العلي بن الطيب الدرسي الفيلاسوف هما أردنان أردن الكبير وأردن الصغير فالما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فنجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع بلاد الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة فهذا النهر في الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلام السكر ومما يحمل الى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقرأوا واربجا والعوجاه وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طافات كثيرة تزيد على العشرين ويجمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع الغور وضياع البنية ثم يمر حتى يصب في البحيرة المذنة في مرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك وقد فتح طبرية لما انتفضت عمرو بن العاص كما قلنا فتحها الى مثل صلح شرحبيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان وابقى وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلب على سواد الاردن وجميع ارضها.

في وادي الاردن بين قرية لوبية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الواقعة الماثلة بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين ورأسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في الرابع من تموز سنة ١١٨٧ م وكان جيش الافرنج مؤلفاً من التي فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم العطش لقلّة الماء هناك وبرحت بهم تباريحهم قبل الواقعة بيومين وهبت عليهم ريح شرقية وهي المعروفة بالخماسين فن لم يسلم الروح

(١) بلقيس الخوي

ظلاً اسلمها لل سيف وانهزم الكنت ريموند صاحب طرابلس فاستولى صلاح الدين على
الأكمة وقتل من ملوكهم صاحب الكرك ونودي شاذليون الذي كان غزا الحجاز واحب
فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستسلمت
سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض ابراجها ونهب المدينة واحرقها فلما
سمع الفرنج بذلك اجتمعوا المشورة فاجتمعوا الى التقدم فركبوا واشتد القتال وصبروا لفرقان^(١)
ورمي جاليلية المسلمين من القشاب ما كان كالجوارد المنتشر والافرنج يقاتلون سائرين
نحو طبرية لعلمهم بريدون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدم عنه وكان بعض
المنطوعة قد اتى في تلك الأرض نارا وكان الحشيش كثيرا فاحترق وكانت الريح
تحمى حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان
وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط سيفه ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا
انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين
على كثرتهم عن مواقعهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم
فومئذ لذلك وهنا فارتفع من بقي منهم الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم
هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه
صليب الصابوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام
فيما يقال فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان أمر المسلمون من نجا من حشد السيف
وفيه الملك واخوه والبرنس ارنلط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد
منه عداوة للمسلمين واسروا ايضا صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من
اعظم الفرنج شأنا واسروا ايضا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاسبتالية)
وكثير القتل والامر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى
الامرى لا يظن انهم قتلوا احداً وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة
احدى وتسعين واربعمائة الى الآن (٥٨٣) يمثل هذه الواقعة قال ابن الاثير: ولقد
اجتزت بموضع الواقعة بعدها نحو سنة فرأيت الارض ملاءى من عظامهم تبين على البعد
منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المنفترق هذا سوى ما جففته السيول واخذته
السياب في تلك الآكام والوهاد

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصليحي على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد عن خمسين الف مقاتل^(١) الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الواقعة التي لم تتم لم بعدها قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لمكا قلب العمد الاعفاني^(٢) وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها واملأها بالرجال والعدد واشحنها وهي للدواية^(٣) حصن حصين ومكان مكين وركن ركين ولم يها منيع منيع ومربع مربع ومسد مسد مشيد ومهاد مهيد وفيها مشاه ومضيفهم ومقرهم ومضيفهم ومربط خيولهم ومجر ذبولهم ومجرى سيولهم ومجمع اخوانهم ومشرع شيعلهم وموضع حاليهم ومورد جهنهم ومقد جمرتهم فلما اتفق يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى مصرعهم واثقين بان الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم فلما كسروا وأسرروا وخسروا وتحسروا طالت نالوا الفولة بحدود اهلها المفولة ودماء داويتها المطلولة ولم يجتمع شمل غمودها بالسيوف المسلولة ولم يق بها الا رعايا رعا وعظمان واتباع واشياع شعاع فعدوا امكان حماية المكاف ووجدوا امنهم في الاستئمان فسلموا الحصن بما فيه الى السكان وكانت فيه اخيرا الفخار وفنفس الاعلاق فوثقوا بما احكموه من الميثاق وخرجوا ناجين بدخلوا في الزمام لاجين وللاسلامة راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور والبيون ويسان والقيون وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات والزهب ومعليا والعمنة واسكندرونة ومنات

هذه هي عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها وعمرانها في القديم اما اليوم فخالها حال قرية حنيرة لانكاد تجد فيها شجرة مع اشجارها قديماً بكثرة الاشجار بل ان النخيل الذي كان بكثرة فيها لا تجد له الا اثرأ ضيلاً جداً كما كاد يفقد من ارض الجليل اللهم الا بعض سواحل البحر ولذلك تجد طبرية باقعة مكدة ولو حفت المراف البحيرة بالاشجار لطاب مناخها واعتدل هواؤها وراق للنواغار منظرها واصبحت مصيفاً ومثقى على حد سواء واكر الاهالي كدالي والحكومة لايهمها الا اخذ ما تيسر من الضرائب والعشور

(١) تاريخ سورية للطرائف يوسف الدبى (٢) الفتح القوي في الفتح القدسي

(٣) اعلمهم فرسان المهيكليين

قال لنا احد اصدقائنا من علماء دمشق في الاقتصاد والعمارة زرت طبرية منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتها منذ سنتين فلم اشهد فرقا في عمرانها بل رأيتها جامدة لم تتحرك ولولا فندق لالماني ومستشفى الانكليز لرسمت لطبرية نفس تلك الصورة التي عرفت في ذهني منذ نصف قرن ومع ما نشكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القري في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وانما بسطت رفعتها وحسنت ولو بعض الشيء بقعتها اما طبرية فهي الجرد بعينه ولم يزد الا جالية من يهود الغرب نزوها مهاجرين فكان المسكن الذي ينزله خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فتضابق السكان وفسد الهواء واستوبل الماء وافقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصيونييين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري «لامساس»

كان من حق الناصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومبسط افئدة ام النصرانية ولكنها بلد حديث بانه مبنية لبلاد الجليل بدلا مجدها بانها كانت موطن مريم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم ير لها ذكر في كلام تدماء المؤرخين ومعنى الناصرة الفرع او الزهرة وهي على ثلاثة عشر ميلا من طبرية ممتدة على شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية ويوتها ايضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والتين والصابر وبذلك تأب منها صورة مليحة لاتعب العين من النظر اليها قال رنان^(١) : كانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يبلغون اليوم اربعة آلاف نسمة^(٢) فكانت الناصرة الندية لان المؤرخ بيسيفوس يقول ان اصفر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لا يتخلو من مبالغة . والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت موقلة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنارها شبيه بمنظر القرى الاسيوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرم والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائع .

(١) تاريخ المسيح تعريب فرح انندي انطون

(٢) هذا في زمن رنان وقد ساح في سورية وفلسطين ولبنان بين سنتي ١٨٦٠ و ١٨٦١ وسكن الناصرة اليوم عشرة آلاف

أما المكان الذي بُنيَتْ فيه الناصرة فإنه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان أفضل منه للأمل في السعادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة إلى اليوم متناماً جميلاً . أما سكانهم أنهم قوم ألقوا اللطف والبشاشة وحدائهم باردة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في أواخر القرن السادس عشر فشبه أرضها بأرض الجنة من فرط خصوبتها . ولا يزال في غربي المدينة أودية خضيرة ينطبق عليها وصفه

أما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكانت حولها السرور شاملاً فقد هدمت ولا يجرى الآن من نبعها سوى ماء كدر وأما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر أذهت النساء الناصريات من مريم العذراء فإنه لا يزال يترقب في وجوههن فهناك الشكل السوري الجميل في أتم خلفته .

ولا شبهة في أن العذراء كانت تنف في صباها بين أولئك النساء حول العين ومعهم إناؤه الماء لتسقي منها . وقد قال انطونين مارتير أن نساء اليهود بكرن المسيحيين في هذا المكان مع أنهن بكرهنهم كرهاً شديداً في غيره . فكأن هواء وطن السيد لطب أخلاقهم . وإذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان أخف منه في سائر الأماكن .

وأما منظر الأفق من المدينة فإنه قصير ضيق ولكنك إذا صعدت إلى الآكام المشرفة عليها أبسط أمامك منظر جميل يسحر الأبواب . فإنه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً إلى البحر وداخلاً فيه وإليه غيره من الجبال بينها وادي الأردن وسهول بيريا المرتفعة . أما في جهة الشمال فأنك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا .

هذا كان أفق يسوع . هذا كان في صباه الشنظر الدائم أمام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله ومسير الديانة المسيحية . فإذا بقي العالم مسيحياً في مستقبل الزمان وصار أكثر احتراماً لأصول الدين واشد رغبة في استبدال الأماكن المقدسة المشكوك فيها بأماكن حقيقية فمات عليه إلا أن يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم . هناك يجب أن نقيم الكنيسة الكبرى التي يجب أن يمجج إليها المسيحيون من جميع أقطار العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من أبناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف أن يقف ويأمل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصره شيء عنه مهما قام في سبيله من المصاعب والعثرات اهـ .

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسي الناصرة بلديسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى^(١) وهو وصف ينطبق كل الانطباق على حالتها اللهم الا ما جاء غفو الخمار فكان اشبه بتشبيهه شاعر مثل قوله في مكان الناصرة انه « ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في السعادة والراحة » ونظن مثل هذا القول يصح اطلاقه على جبال سورية عامة بل جبال الارض كانه في كلها تبعث الروح على التأمل لغواغ الدمن فيها من كدورات المدن وازدحام الانفاس ولما تقع عليه العيون من المناظر الشائنة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الحال فيلادسوف يعذر على ما قال تشائنه وتريبته التي قلما يتجرد منها انسان مهما تزغ ربة النيد والتقاليد ولكن هذا الغلو لا يقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد لا تطيب لاهلها .

اما تاريخ الناصرة فله ارتباط كلي بتاريخ الجليل . بعد فلم تدام جيوش كسرى ومولا كوتور هذا الانليم فلم من غاراتهم وتخريبهم ولقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي اسدها المسلمون للمسيحيين لم يدم زمنه ماويلا حتى ان وبالبالد لما وصل الى الناصرة سنة ٧٢٥ م لم يجد فيها كنيسة قائمة ومع هذا ذكروا بانه كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راهبا .

وقتل الامبراطور يوحنا سيميس على العرب واستولى على سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٧٥ وجبل نابور والناصرة ولكن ادخل عليه خصيانه السم فماتت الولايات التي اقتنعا فسقطت في ايدي العرب . وقد قال ساولف ان تنكرد لما فوضت اليه بدفع القدس بلاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها الدرب ولم يبق الا بعضها فاعاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة جامعة لهم . ولما سقطت ارض الجليل بيد صلاح الدين بعد وقعة حطين آضت الناصرة ايضا اليه فعمط على اهلها وفي خلال هدنة العشرين المعهودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ٢٠ شباط ١٢٢٩ اصبح فريديك الذي في امبراطور المانيا الحاكم المحكم بالطريق من عكا الى الناصرة فرم هذه المدينة على انها ما كانت قط حصنا متينا .

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر سيف جيش هائل صاحبها الظاهر بيبرس البندقداري وعسكر في مخدر جبل تابور وبث كما قال القس مسترمان برجاله يخرّبون البيع والاديار واطلق الحرية للمسيحيين على ان يدينوا بالاسلام ولكنهم ابوا ووقعت فيها وقعة هائلة قتلوا عن آخرهم . ولورخي الاديار اخبار بلونها واحاديث يقصونها عما لقيه القسيسون والرهبان من المظالم الى القرن الماضي ايام تنفس خناقهم بتولي الظاهر عمر امر الجليل فاصبحوا احراراً في كنائسهم وعباداتهم آمنين من عيث البدو الذي وقع مرتين على الناصرة فغزوا اهلها في عقر دارهم .

وتاريخ الناصرة هو في الحقيقة تاريخ الاديار والعايد فيها وقد قوي سلطانهم منذ جاء بونايرت وحاصر عكا سنة ١٧٩٩ وبث باحد قواده يعسكر في الناصرة وانتهالت الاحسانات على الاديار من ام النصرانية في الغرب على اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من انشأ بيعة حتى بلغت اربع عشرة بيعة وكثيرة ومعظمها من ضخمة البناء وحسن الهندام ما يذكر بقصور الملوك ومنازل المترفين والفرنيسكان اقدم الرهبان وارسخهم قدماً في الناصرة وكثيبتهم مما يزار لبعض الآثار التاريخية فيها ويكتفي انها اثر من آثار الكنائس في القرون الوسطى

وفي الناصرة يشهد التنافس بين اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين معلون الذكور والاناث وبلنوتهم ما يباؤون ويطبون المرضى ويعطونهم العقاقير بلا مقابل من اي نخلة كانوا على شرط ان يستمعوا لوعظ الواعظين ونصائح دعاة الدين ولذلك قل سيطر هذه البلدة الاميون والجالعون . والقارئون الكاتبون من اهلها من الجفنين اكثر من كل بلد سراها في سورية يعيشون بصدفات المحسنين ويتنعمون بما تجود به ايديهم الغنياء الغربيين

ولوانصلت الناصرة اليوم بالسكة الحديدية مع خط حيفا على الاقل اولو مد منها خط الى القدس لما حيج حاج من النصارى الا ونزل الناصرة يزور ويترك ولكن من ذلك للحكومة والامة نائدة مادية مهمة فن مدن سويسرا ما يعيش طول سنه مما يفتته الزوار في مصابها افلا يجدر ببلد السيد المسيح ان يعيش اهلها من ريع يأتهم به عشرات الالوف من جمهور المؤمنين من المسيحيين .

« للبحث صلة »

غابات سورية

تجبر اراضي السلطنة من ام المسائل الاقتصادية المهمة التي يجب ان تعترف لها عناية العثمانيين وحكومتهم فقد جهل الناس منافع الغابات ولم تكن الحكومة بالهيمنة عليها حتى اتى السكان او كادوا في اكثر الاقاليم على ما بقى لم الاجداد من الغابات الغيباء فكاد الخطر يحدق بحياة البلاد الاقتصادية ويدشك ان يستفحل الخطب لهذا الاممال قال العارفون ان في المحافظة على الغابات نجاح الزراعة وتجارة والمعامل والصناعات والملاحة البحرية والنهرية والمنلجم وجميع اسباب الراحة في الحياة بل وحياتنا ايضا . ودعا المحدثون من الاقتصاديين والمفكرين في الغرب الى حفظ الغابات قائلاً ان حفظها من اول مصالح المجتمعات وحفظها اول الواجبات على الحكومات واثبتوا انه كلما قطعت من بلد اشجاره يسمي فقيراً لان في قطع الاشجار التي تنشى منحدرات الجبال وقتها ثلاث مصائب لابناء الاجيال المقبلة : قلة اوقود وقلة المياه وانحداد البلاد افيضانات مخربة لحياة البشر . مناطة بالاشجار . والامم التي تحب الغابات هي من الامم العاملة التي تحسب للمستقبل حساباً وبتدبر عرافة الافراد في الاخلاق والتقاليد يجعلون لهم منها رؤوس اموال فيفعلون بها ويرثاؤون

ابادة الاشجار جائحة من جوائح الانسان ونذير اضمحلال الامم فلاحتفاظ بالغابات والآجام هو تابعين لبدء الدين الاجتماعي وفنون التكامل الذي يربط الاجيال بعضها ببعض قال الوزير كولبر انفرنوي ذات يوم وقد رأى قلة عناية ائمة بغاباتها : ان فرنسا صتهلك من قلة الحراج

وايس معنى ابادة الغابات حرمان بلادنا من اجمل حليها بل انضاب يتابع الانهار واخلال نظامها اخلاقاً فيه الهلاك والتفريب والانصرار بالاسعة العامة وتغيير وضع الارض التي تحمينا فنتاً كل التربة الصالحة منها على الزمن بهجوم المياه عليها دئمة واحدة وهو من اعظم الاخطار على التربة المنحدرة . وتقى عزي الجبل من اشجاره يهلك الزرع والضرع معاً فتجري السيول على التربة الجرداء تحمل معها اولا التربة الصالحة للزراعة ثم تخرج ما بين الصخور وتجعل الاحجار ركاماً مشرقاً على الاودية ويصبح النهر مسيلاً تكثر مياهه فتفيض ايام الامطار وتنال بدون نظام مودية بكل مافي طريقها وتزاد زيادة هائلة ففيض في السهل وهناك الفيضان والطوفان وتقطع الامواج بشيلها

الأشجار والعفجور وتخرب السدود وتودي بالدور والقصور وتلك المدن من أسسها . تجري مياه الأمطار على الصخر القاحل كأنها تمشي على سطح دار وتنبو المراعي وتفيض الأنهار حاملة تربة الجبال وحصاها وحجارها فتطغى بها مجاري المياه وتسد مصابها وبعد ان تفيض المساليل كثيراً تصبح ولا ماء فيها ويمتثل نظام الاهوية ويكون من ذلك خراب رعاة الجبل وزراع السهل وتجار الثنور والمدن وصناعاتها . من اجل هذا صاغ لنا ان نقول انهم كلهم متضامنون في منع جرد الاشجار وتعرية الجبال .

ولقد نشأت في كل عصر مضر كثيرة من جرد الجبال من اشجارها وغاباتها قال احدهم " كانت صقلية وافريقية الشالية والمغرب الاقصى انبار رومية في القديم فاصبحت قاحلة ماحلة بما تواتر عليها من غارات النندال والعرب التي انتهت بتحطيم الغابات وكل ما يشاهد من الخرائب العظيمة في تونس والجزائر وبعض اعمال قسنطينة وفي غيرها شاهدة ناطقة بان هذه الاقاليم القاحلة اليوم كانت زاهرة امس وفيها المدن العامرة عراها السقوط كما عراها اسبانيا من اباد اشجارها وكم من خرائب حفر فيها وهي رمال او انقاض فشهدت تحتها مدن كانت عامرة بمياهها المطردة وحدائقها الغياض وغاباتها الغناء فلم توث الا من قطع غاباتها ونسفت الرياح الرمال على تلك المدن فاصبحت كأن لم تكن بالامس

ولقد ثبت ان فقر البلاد ولاسيما الجبلية منها ناشيء من قطعها الاشجار خاصة . وكما توغل المرء في دراسة التاريخ يجد الشواهد الكثيرة على تأثير الغابات في تكثير السكان فقد كان لبلاد اليونان وهي اليوم فقيرة قليلة السكان غابات وانهار " وان اجذاب الحقول الرومانية وخرابها ناشئان من تجرد جبال الابنين من اشجارها . وجبال الابنين تقطع ايطاليا الى شطرين . وقد ناب اسبانيا انخفاط سريع من هذا الشأن فبعد ان كانت في القرن السادس عشر على عهد شارل كان وفيليب الثاني عامرة غنية محترمة انحط عمرانها في القرن السابع عشر من دون ان يضر بها عدو او تمسيح حماها أمة غازية . فلم يمس عليها قرن الا وقد رأيت جميع علامات الانخفاط وقل سكانها على صورة مدهشة فنزل سكان مدريد من اربعمائة الف الى مائتي الف في اوائل القرن الثامن عشر والسبب في نزوح السكان تلك المجاعة التي حدثت من الجفاف الذي دعا اليه تعرية البلاد من غاباتها تعرية اخلت بنظام الري . حتى ان نهر المانزاريس كان في القرن السادس عشر

(١) مجلة مطالعاتنا في بيروت (٢) جغرافية البيرة ركولوس بالفرنسوية

قابلاً لسير السفن في على مقربة من مدريد فاصبح اليوم جافاً. وانهم ليزجون في اقليم اراغون الرمل بالخمر بدل الماء عندما يريدون ان يجولوا الطين. فنفوس البلاد وعظمتها على نسبة غناها بغاباتها. وبلاد روسيا اكثر اوروبا غابات فان اربعين في المئة من اراضيها مغشى بالاشجار و١٦ في المئة من ارض فرنسا وارض ايطاليا مغطاة بالاشجار و ٢٤ في المئة من ارض المانيا و٦ في المئة من ارض البرتغال و٥ في المئة من ارض فارس و ٣ في المئة من ارض اسبانيا وبلاد اليابان اكثر بلاد الدنيا غابات. وتبلغ مساحة الغابات في الولايات المتحدة خمسة اضعاف مساحة فرنسا ويحرق منها في السنة نحو ثلثائة هكتار وكثيراً ما يلتهم قسم من غابة فتبقى الايام مشتعلة وربما حرقت فيها قرى يسكنها كما حدث في حريق البحيرة العالية وحدث هذه السنة فدام الحريق اياماً ذهب فيه مئات الالوف من الليرات

ليس من جميع النباتات التي تنبت في الارض ماعدا الخنطة التي هي اول المواد اللازمة لغذائنا نبات ضروري لنا كالغابات نافع محمد اثره : فلشجرة منافع كثيرة وتأثير عظيم في الانواء والحوادث الجوية في كل قطر فهي نصف مياه الامطار وتعيدها ببطء الى الينابيع والهواء وتحول بورقها وجذوعها دون جريتها سريعاً فالاشجار لاتمسك الماء فقط بل تجذبه ثم تنظم هطول الامطار وتقلل من الفيضان وتبقى التربة في ظل الاشجار ندية خلال ايام القيق. ونظام الغابات نظام للاهوية. فالشجرة تقي التربة من صدمات قطرات المطر والبرد فيكثر في الشتاء الثلج على قمم الجبال وتحول جذوع الاشجار واغصانها دون سقوطها وتطيل مدتها وتذوب ببطء وتفصل القشرة الرقيقة تحت سطح الارض وتعد الينابيع وتعطي مزروعات الاودية الرطوبة اللازمة لها. وان جذوع الاشجار في العقاب والتلعات لتمسك التربة عن الانهيار وتقبض الصخور المفككة وتحول دون انهيار التراب

وكم من اشجار هي مأوى الماشية منذ قرون وحماية حياة الانسان كما هي حامية الهوام والحيوان وكثيراً ما تنبت الرياحين والورد في اطرافها كما ان الاشجار تمسك الحيات وتمتص رطوبة المستنقعات وتطهر هواء الاقليم بفضل حفيقها المنبت من اكتظاظ الصخور الشجراء. ولقد صدق من قال من عشاق الاشجار « تأتينا الشجرة بالماء. ومن الماء يصير مرج والمرج يغذي الماشية ومن الماشية ينشأ الساد ومن الساد السماد الخنطة »

لاجرم ان كل من جال جولة في اوروبا واميركا يعرف مقدار حرص الفرنجة على

الانتفاع بالغابات . فقد قامت الجرائد والجمعيات في فرنسا منذ مدة ندعو الى تشجير الاراضي الوعرة او الغير الصالحة للزراعي والى تخصيص الاراضي المتخلفة انحداراً قليلاً ولسان حالها ينادي انا نرعى الى انقاذ ارض الوطن والمحافظة على ارض ثروتنا وبدائننا الطبيعية ونريد تربية فكر الطفل منذ صغره على قدر حسنات الغابات قدرها فيهاؤها يحسن الجو وتطرد مجاري الانهار ويخضل العشب ويكثر غذاؤه للماشية والسائمة والجبال اجمل منظرأ والسهول اكثر ابتساماً . واقبلت الجمعيات وغيرها تنشر منشورات في فوائد التشجير وتوزعها على الفلاحين واشتغل مجلس النواب ومجلس الشيوخ بذلك مدة طويلة

وقامت انكلترا^(١) تريد تشجير كل مايمكنها تشجيره من ارضها ولا سيما في السواحل البحرية التي تسطو عليها مياه البحر تريد بذلك ان تجد عملاً للبطالين وتقدرت اللجنة التي عهد اليها النظر في سطح الارض التي تعطي اذا شجرت اكثر مما تعطي الآن من الدخل فكانت ٣٦٠٠٠٠ هكتار^(٢) من ثمانية ملايين بدون ان يمس السطح المغروس من الجزائر البريطانية وايرلاندا وتبين لهم ان غابات انكلترا اقل من غيرها من غابات البلاد الاوربية وان الحكومة لا تموت بتاتاً ولذلك يتيسر لها ان تكمل مابدأت به من الاعمال الى الغاية المطبوبة على خلاف الافراد فان الفرد يصعب عليه ان يصرف شيئاً رجاء لا ياتي به في حياته فمن ثم كانت الحكومة اقدر على تشجير الغابات واستثمارها بعد سنين طويلة خصوصاً وان بيع الاخشاب والاحطاب لا يصعب على حكومة وقد رأوا ان ماتصرفه الحكومة من المال وتنتظر الحصول عليه ياتيها من الواردات بفائدته مضاعفة وانه ليس من العدل ان يصرف ابناء هذا الجيل ما يقتطف ثمرته ابناء الجيل القادم اي بعد ثمانين سنة وهي المدة التي لا يتأق الانتفاع بالغابات في اقل منها فاذا شجرت الحكومة كل سنة ثلاثين الف هكتار تدفع في السنة الاولى ١٦٢٥٠٠٠ فرنك وتكثر النفقة سنة عن سنة حتى السنة الاربعين فيكون قد بلغ ما صرفته ٣٩ مليون فرنك وتعادل النفقات الدخل بعد هذه السنة الى السنة السبعين وبعدها يزيد الدخل على الخرج فيبلغ الدخل الصافي نحو اربعة في المئة فتكون اذ ذاك ٢٤٨ مليون فرنك وتساوي املاك الحكومة من الغابات ثمانية مليارات فرنك اي انها تبلغ ملياراً ونصفاً زيادة عما كانتها . وكل هذه النفقات والمداخيل محسوبة باسعارها الخائفة ولم ينظر فيها الى غلاء اجور

(١) مجلة الافكار الحديثة الفرنسية (٢) الهكتار مئة آراو عشرة آلاف متر مربع

العملة وارتفاع اسعار المحاصيل ورأوا ان ما يعرض للغابات من التخریب الناشئ عن الحريق والحشرات والتلج والعواصف وغير ذلك يعادل ما ترجحه الحكومة من ارتفاع الاسعار لان ما ينفق من الغابات يزيد على ما يخرج منها الآن في البلاد المتقدمة . وهذا التشجير يشغل تسعين الف رجل طول السنة عددا من يستخدمهم من ارباب الحقول مؤقتا

نعم ان تأثير الغابات في المناخ وانباط المياه وتحسين الارض وتطهيرها وجمالها وفائدتها الاقتصادية والوطنية لا يكورها الا اعمى البصر والبصيرة . وما ذكروه من منافع الغابات للوطن ان غابة هوسنين وهي غابة صوري تمتد بين نهري الرين والفنتول قد صدت كتائب الرومانيين عن التقدم . وهكذا حلت انكسار مسألة الغابات وهي موطن الاستقلال الشخصي واحترام الاملاك الخاصة وتقسيم الادارة المركزية لعمالها لان الافراد في هذه المسائل لا صبر لهم بقدر الحكومة ولا عجب فهي الحكومة التي تغرس الغرسه اليوم وتنتظر جني ثمرها بعد قرنين او قرنين هذا في البلاد القاصية فما بالك بها سيف عقر دارها



اليك اقل ما يجب ان يقال في وصف منافع الغابات والتشجير ويدل على مبلغ عناية الافرنج بها وهم اعرف الخلق بالانتفاع من هذا الوجود . وان من يطوف العالم والمجاهل من بلاد سورية ليستنتج ان عناية اجدادنا بالغابات لم تكن دون عناية الغربيين بها اليوم وان كانت البقية الباقية منها لانسد خلة ولا تغني اهلها . واذا كانت الحكومة في القرون الاخيرة لانتهم الا لتشجير الجباية والعشر ولو باستنزاف دماء الفلاحين وكان الامن اذا ارتفعت اعلامه في بعض الاقاليم فتما يرتفع بالقرب من الحواضر والتحصينات والساكنات الغابات في الغالب نهب الناهبين وغرضا لاسنان القطعان وفؤوس الخطابين ولم تؤسس في الدولة نظارة للغابات الا منذ سنين قليلة وكأنها لم تكن الا لتأتي ايضا على ما ابتغى طوارق الخدثان من غابلاتا الجلييلة لان عمالها يساعدون على تقليلها وكان الواجب عليهم ان يساعدوا على تكثيرها .

وكم من جبل في سورية اجرد امرد لاشجرة فيه كجبل قلمون^(١) الذي يمشي فيه ساعات ولا تجد اثر الزرع ولا للشجر حتى قال احد الاجانب ممن زاروه مؤخرًا :

كنت اتمنى في حياتي ان اشاهد جبلاً أجرد من الكلاء والشجر فما قد قررت عيني في قلمون بمشاهدة ما كنت اريد من الجبال الجرداء .

واكثر جبال سورية غابات فيما احسب جبل لبنان^(١) ففيه من الاشجار الغير المثمرة الزان والسديان والسرو والارز . والارز اهمها ومنه غابة بالقرب من قرية بشري قديمة والغالب هي التي كان يحمل من خشبها ايام الفراعنة الى مصر لبناء السفن والمعابد وغيرها فيؤتى به الى جبيل او الى طرابلس ومنهما يحمل في سفن شراعية . ولعل غابات دير القمر والباروك وعين زحلنا كانت تجعل الى صيدا ومنها نقل في المراكب . قالوا ان الحكومة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لحزبنتها وهي السرو والعصر والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابه . وقلت الغابات في لبنان منذ نحو خمسة قرون لاحتياج السكان الى الاحتطاب واخذ القوم يتلعون الغابات ويغرسون بدلاً منها اشجار التوت والكرم . وشجر الارز ما تفرد به جبل لبنان مزدون سائر جبال سورية . ولا وجود له الا في اعالي سربيلاد الضنية في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز وبين سرب ونبع السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى تنوب .

ويكثر شجر الشوح في جرود الهرمل وعكار وهي في الغالب من الاملاك الاميرية ينتفع بها الاملون خفية او يدفعون ثمنًا قليلاً للاحتطاب منها كما هو الحال في جبال عجلون . وفي جرود الهرمل وعكار صنوبر وسديان وانك لتمر في جبال طويلة عريضة لا ترى الا السديان وكذلك جرود الضنية وعكار من اعمال طرابلس كلها حراج تضعنها الحكومة

وعلى مسيرة يوم من شرقي حماة غابات من شجر البطم وهي الفستق البري بعينه تسمى الشومرية والبالعاس وهي منازل للعراب ينقطعون منها ماشاءوا ويرعون فيها ماشيتهم وقد اضيفت الى الاراضي المدورة اي الاراضي السنية فما زادت الا خراباً على خلاف بعض الاراضي التي ضمت الى الاراضي المدورة في العهد الحميدي فكان من حظها انها عمرت وارتفع فيها علم الامن

واخبرنا احد اصحابنا ان في قرية حرمل من جبال النصيرية وسكانها تركمان غابة زرعتها اهل تلك القرية منذ زهاء عشرين سنة فطالت كالرماح وحسن طلعها بعد

ثلاث سنين من غرسها بما دل على ان جبال التصيرية كانت الا قليلاً مغطاة بالغابات التي لم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل ورسم محيل . ولو توفرت عناية الاهلين في الجرود والجبال لغرسوا من الغابات ما يكون منه لابنائهم واحفادهم خير ثروة يخلفونها كما فعل اهالي الزبداني فغرسوا شجر البلوط في مكان يدعى قلعة السنديان في الجهة الغربية من الزبداني واذا امتدت هذه الغابات في سلسلة ذاك الجبل حتى تصل الى نبع بردى تأتي منها فوائد كثيرة لوادي الزبداني ووادي بردى ثم لدمشق وغوطتها اذ تكثر بذلك الامطار وتخزن المياه لنبع بردى المجاور لتلك الجبال ومن ورائها وادي القرن والحريبر وفيها بعض الاشجار القليلة وهي ملك اصحابها لا الحكومة

وفي الجبل الشرقي اي في بلاد حاصبيا وراشيا غابات قليلة كما انه نقل الغابات في جبال فلسطين وفي بلاد الصلوات غابات غير قليلة ما برحت الى الانقراض ومنها غابة قرب القصبه اقتتلها الاهلون وغرسوا منها كروماً يأثمهم بالعنب الجيد بلا يزر كعنب ازميز الا انه بقي اثر منها دلالة على عظيمة تلك الغابة العظيمة . ونقل الغابات في بلاد حوران واحسنتها ما كان في جبل الدروز ولذلك كثرت مياهها اكثر من غيره من الاقاليم ومثل ذلك يقال عن غابة عجلون التي تبلغ مساحة المستعمل منها خمس ساعات طولاً وثلاث ساعات عرضاً ولا يأتي عليها عشر سنين الا وتقرض عن آخرها

وبعد كتابة ما تقدم رأينا ان نأتي على ذكر الغابات من المصادر الرسمية فعملاً ان غابات ولاية سورية كثيرة واهمها ^(١) في قضاء بعلبك وتبلغ مساحتها عشرين الف جريب . والجريب يقرب من عشرة دونمات . وشجره من السنديان والمرعر ويقل فيه الصنوبر واشجاره غير صالحة للاخشاب وهي معرضة للاحتطاب منها على الدوام فلم تيسر لادارة الغابات حراسته على ما تنبغي به المادة الخامسة من نظام الحراج لقلة الموظفين وصارت الى حالة مؤلة وبعض هذه الغابات تدعى الاهالي ملكيته وادارة الغابات تدافعهم في دعواهم . واهم هذه الغابات غابة حلبيا ووادي نيرة وما عداها فتتسلسل منهما وليس في قضاء البقاع غابات مهمة بل ان الاهلين يحبطون من غابات الهرمل التابعة لتصرفية جبل لبنان وهناك بعض غابات في سفوح لبنان بعضها مشترك بين البقاعيين واللبنانيين .

وحراج وادبي العجم متفرقة وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف هكتار وحراج

(١) تشكر حسن حسني بك مفتش زراعة سورية لاعطائه ايها هذه الايضاحات

اقضية حاصبيا وراشيا والقنيطرة مثل حراج بعلبك تسمى باسماء القرى المجاورة لها
وتقدر مساحتها بثلاثة آلاف جريب تكاد لا تكفي لاحتطاب السكان الاعلى صورة
ضئيلة . وليس في قضاء الزبداني حرج جذير بالذكر سوى حرج صغير أصيب بما
أصابت به سائر الحراج ولا سيما في وادي القرن ووادي الحرير فاصبح اكثره غير صالح
للاحتطاب . وليس في قضاءي دوما والنبك ما يصح ان يسمى غابات سوى بعض
اشجار من السنديان والبلوط متفرقة في الاودية والقم من جبال قلمون هي ملك الاهالي
يحتطبون منها فتقل سنة عن سنة

هذا في الاضية النعمة التي هي من عمل الولاية اولائها وفي لواء حوران اهم غابات
في ولاية سورية وهي من عمل قضاء عجلون طولها ٢٦ ساعة وعرضها ٢٣ ساعة وفيها
٢٣ قرية و ١٣٧٥ بيتا ومزرعتان ومساحتها من ٣٠ الى ٤٠ الف جريب ونصفها اليوم غير
صالح للقطع يحتاج للحراسة كل الاحتياج والنصف الآخر يصلح للاحتطاب منه وعمل
الفحم الا انه بعيد في نجد وعرة ولقلة العملة الذين يتوفرون على عمل الفحم منه اصبح
كأنه لم يس . ومدينتنا دمشق يأتيها الفحم اللازم لدفعها وقودها من غابات عجلون
واذا لم تبذل العناية بوقاية الغابات مما يلحقها من المضار توشك ان تحترق بعد سنتين
من الفحم فيباع قطاره الذي يباع الآن بثمن وخمسين في الشتاء بثلاثة اضعاف ثمه .
فبسوء ادارة الحكومة لزم قطع من هذه الغابات لا يقل المستخرج منها عن خمسين الف
قنطار يبع بالوسائل على انه ليس فيها سوى ستة آلاف قنطار . واشجار هذه الغابة
لا تصلح للخشب والدفع وان كان الفلاحون هناك يعتمدون عليه في ستوف بيوتهم
فمنها الصنوبر والسنديان القطلب وفي غابات عجلون نوع من شجر الزيتون البري .
هذا في غرب اقليم حوران وفي شرقي اي في جبل الدروز غابات قليلة الاهالي ينتفعون
بها في وقودهم

وفي لواء الكرك بعض الغابات واعمها ما كان في الصلت ومساحتها نحو ستة آلاف
جريب تحتاج للترك الآن والحفاظه عليها لكثرة ما لعبت فيها فأس الخطاب والنعام
وفي قضاء الطفيلة غابات ولبعدها عن العمران لا يرغب في الاحتطاب منها فلا يستفيد
منها القرييون ولا البعيدون وجنسها من العرعر وفي بني حميدة من اعمال قضاء الكرك
غابات جياد هي ملك بني حميدة

الك ماني لواء حوران والكرك على الجملة اما لواء حماة فليس في مركزه ولا في

حمص حراج والاهالي يجلبون احطابهم ونحوهم من حراج الهرمل في لبنان ومن غابات بعلبك ومن حراج البلعاس التي كانت من املاك السلطان السابق فاصبحت للامة . وفي قضاء المعرانية حراج متفرقة تسمى باسماء القرى المجاورة لها وكذلك الحال في غابات سلمية

وقد بلغت واردات الغابات الاميرية سنة ١٣٢٢ شرقية ٤٨٤٦٤٨١ غرشاً صحيحاً وسنة ١٣٢٣ — ٧٠٠١٨٩ وسنة ١٣٢٤ — ٦٥٠٤٦٠ وسنة ١٣٢٥ — ٦٦٦٩٨٩ وبلغت سنة ١٣٢٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ٦٤٨٠٨٨١ غرشاً .

هذا في ولاية سورية اما ولاية بيروت فالحراج موفورة في اكثر الويتها واقضيئها على ضيق مساحتها فيها بعض الغابات الصغيرة واكثرها فائدة في الانتفاع^(١) والاحتطاب ما كان منها داخل لواءي اللاذقية وطرابلس الشام في الجهة الجنوبية من مدينة بيروت في الرمل غابة من الصنوبر تقدر بالفي دونم وطول اشجارها نحو خمسة اوسنة امتار ومحيطها من ٤٠ الى ٥٠ سنيناً ويعنى كل الشابة بحفظها وقد ذكر التاريخ ان هذه الغابة غرست قبل سنة ٧٦٧ هـ وقد خيف من انهيار الرمال على الاراضي الزراعية . وفي قضاء صيدا ومرجعيون عدة غابات مبهثرة ينشع بها السكان فقط

وعلى ثلثي ساعات من صور غابات في وادي النصارى وساحل علما ووادي الخنازير وهي واسعة في الجملة وشجرها من السنديان ومحيط اكبرها متر واحد وطولها خمسة امتار لانكلي للبناء بل تنفع في الحطب والقحم وقد جرى اهلها في اقتطاعها على الاصول فلم تقل انواعها وكذلك تجد في الجهة الجنوبية من القضاء غابات في وادي كركر ووادي البالون ووادي الثهور .

وفي لواء عكا عدة غابات منها واحدة في الجهة الشمالية من ناحية شفا عمرو وهي على نحو خمس ساعات من المواني المجاورة وهي معروفة باسم الغربي ومرج وعاد والهوفي والزيب وتقدر مساحتها بنحو اربعين الف دونم وجميع اشجارها من السنديان ومعدل طولها من ٤ الى ٦ امتار ومعدل محيطها من خمسين ستمتراً الى متر واذ كانت هذه الاشجار لاتكفي الصناعات والبناء جعلها اهلها للاحتطاب واخذوا يبعثون ببعضها الى الخارج . وفي قضاء حيفا على اربعائة او خمسمائة متر عن سطح البحر غابات سيف جبل الكرمل ووادي العسل والعصامة والحاري والباخور تبلغ مساحة ارضها نحو ٤٣ الف

(١) تقويم (مائة) ولاية بيروت سنة ١٣٢٦ هـ .

دونم وهي قصيرة الطول والجسامة وهي كغابات صيدا وصور لا تنفع لغير الاحتطاب .

وام الغابات الموجودة في لواء طرابلس في عكار والضنية تقدر مساحتها بزهاء مئة وخمسين الف دونم تمتد من قريتي غابات وتحفت الى آخر حدود ناحية الضنية وهي منبثة على سطوح مائلة و تقدر معدل ارتفاعها بسبعة آلاف متر واهمها القبايات وعنت و ارمون . عرض والحريق وروبر وجوردبرين ووادي جهنم وقاطروفرين والضنية وهذه الاشجار تنمو في سفوح الجبل والساحل وهي لاتطول وتنزع غشب البناء وهي من نوع السنديان والصنوبر وشرابة الراعي والعرعر وعدا هذا تجد اشجار الصنوبر والسوح منبثة على خط مستقيم بين مسيل المياه والروابي تعلو من خمسة الى عشرة امتار ومحيطها من متر الى متر ونصف و ينتفع باخشابها في جميع انواع الصناعات وفي كل هكتار اي على حساب عشرة امتار مكعبة تجد اشجاراً صالحة للبناء تعادل ١٣٦ الف متر مكعب كما يوجد في كل هكتار من الارض باعتبار عشرين متراً مكعباً وهي تعادل ٦٦٠ الف متر مكعب من سائر الاشجار والخشب الذي يقطع من هذه الغابات يحمل الى حماة وحمص وطرابلس واعمالها من القرى والمدساكر .

والغابات الموجودة في لواء اللاذقية هي في اقضية جبلة والمرقب وصهيون وناحيتي باير وبوجاق وهي من الساحل على ساعة الى احدى عشرة ساعة واهمها في باير وبوجاق وبوغدملية وجبل حسن ايت وجبل الملك وقزل حاتي وجورتلم وبثالي ودر بوي تبلغ مساحتها ١٢٠ الف دونم والاشجار القريبة من الساحل يبلغ محيطها من ثلاثين سنتماً الى متر وطولها من ثلاثة امتار الى اربعة ومنها يستخرج خشب للبناء ولصنع القوارب الصغيرة والصنوبر الاحمر والابيض يستخدم في بعض المحال في الابنية وام ما لا يندم من الغابات غابات ناحيتي باير وبوجاق تقرب مساحتها من ٣٢ كيلومتراً مربعاً والقسم الاعظم من اشجارها اي ٩٠ في المئة منها يختلف محيطه بين ٣٠ الى ٦٠ سنتماً وطولها اربعة او خمسة امتار . وتدرت الاذواح العظيمة وفي الاطراف والبلاد المجاورة تجد بعض الغابات يمكن تقديرها بثلاثة آلاف شجرة صنوبر اسود اكثرها يختطب منه اهالي القرى ويحمل بعضه الى بيروت وفي وسط هذه الغابات على تخوم اسكندرونه غابة اسمها قوز تحيط بها اشجار الصنوبر وتقدر مساحتها بالف هكتار من السنديان

وقد بلغت مداخيل غابات ولاية بيروت ١٥٠٦٠٠ غرض بيع منها ١٦٠٠٠ ١٩٠٠

اوقه من الفحم و ٩٠٠٠ اوقه من الخشب واكثر ما يبيع منها في بيروت وجوارها وسواحل مصر .

هذا ما لقناه من مصادر متنوعة ونختتم هذا الفصل بتمرير ما كتبته شاكر بك مفقش غابات ولاية سورية السابق وقد سأله ان ينشئ لنا شيئاً في حالتنا مع غاباتنا فكتب اليانا ما نعرفه بما يأتي وهو يصدق على غابات سورية باجمعها اي ولايات حلب وبيروت وسورية والوية القدس وابنان والزور قال : الغابات احدي منابع الثروة الطبيعية للدولة والامة وربما كانت الاولى في بابها وما من ينكر استفادة احد عما ترأى به من الحطب والفحم والخشب وغيره ولا سيما في ولاية سورية حيث تكثر حاجات الاهالي الى الغابات اكثر من غيرها ومع هذا فلا نرى من يلتفت الى هذا الشأن ويبحث في اسباب دفع هذه الحاجة مما يوجب الاسف الشديد .

ليس من ينكر ان الغابات تنقي الهواء وتجلب الامطار وتمنع التربة الواقعة في الحقول المسطحة من الانهيار وفيها من المنافع العامة ما ينفع في رعيه الاغنام والمواشي وغيرها وكلنا نسلم باننا نطبخ كل حين طعاماً ونفسل ثيابنا وندفئ غرفنا بالفحم والحطب

ولئن رأينا اليوم مواقد نحى بالبترول ويستفاد منها بعض الشيء الا ان هذا الطباخ لا يقوم في وقت من الاوقات بدل المنقل وكونا نرى المطبخ على الطرز القديم وذلك لان الطعام اذا طبخ والغسيل متى غسل تطفأ تلك الموقدة واذا فرضنا اننا اوقدناه مدة طويلة فن البديهي انه لا ينشر حرارة تنبه حرارة المنقل ولا الكانون بحال من الاحوال . ثم ان من وسائل التدفئة والتسخين ان نرى بعض المواقد التي يستعمل فيها زيت البترول وهذه لا تنزهد الحرارة الطبيعية في الغرفة الى اكثر من درجة الى درجتين في الاكثر .

اما اخشاب البناء فانه يوثق بها الى هنا من غابات اطله وقونيه وآيدين فتباع بثلاث ليرات واحياناً باكثر من ذلك في حين انه من الممكن زرع شجر الصنوبر والسنديان في هذه الديار من اجود الاجناس وكل من يشتغل بالزراعة يوافق على هذا الرأي

ومع ان قنطار حطب الزيتون والشمش يباع من خمسة واربعين الى خمسين قرشاً فقد كانت ترتفع اسعار قنطاره الى نحو ليرة ونصف لو كان المعول في احماء الحمامات والافران عليه

وهنا لا ارى حاجة لبيان فوائد الغابات بل اقول على سبيل المثال ان ما حرق من الفحم من جزء صغير من غابات عجلون قد بلغ سنة ١٣٢٤ (مشرقية) ٤٦١٣٢٠٠٠

كيلو أخذ عنها رسم ٥١٤٥٢٠٤ غروش صحيحة أو ٦٧٢٥٣٣١ غرشاً بمعاملة دمشق
الرائجة المتداولة

ولو عني الفلاحون وفقيرهم قد يملك من ثلاثين الى اربعين دونماً من الارض وهو
بتلكا معظم السنين في استثمارها كلها بحجة ان ليس لديه بقر او سكة او بذار ويترك
قسماً منها بوراً لو عني بزرع شطر من ارضه او عني حدودها وبجاري المياه اليها اشجاراً
وحراجاً لا غلظه ومواشيه وابناء السبيل بظلها واستخرج من اغصانها ومن الياض منها
حطباً لدفئه ولو اكثر منها زيادة لاستطاع ان يخرج له خشباً ونحلاً فيخفي بها بعض
الشيء . وبالجملة فان كل امرئ اذا ربي غابة فكأنه اسس لنفسه مصرفاً (بتلكا)
دايمياً لان الغابات رأس مال لا ينفد في الحقيقة .

يبد ان اهل القرى لا يفكرون في هذا الامر ولا يلتفتون الى ما ينصح لهم به من
قطع الاشجار بل يقطعونها من اصولها وهناك الضرر الذي لا ينكره العلماء
ولقد جرت المداولة بشأن الحراج والغابات في المجلس العمومي هذه السنة والتي
قبلها وتعمدت الحكومة ان تأتي الفلاحين ببذور الغابات لمساعدتهم ولكن لم يراجعها
احد في هذا الشأن والحكومة متكفلة بالقيام بكل انواع المعونات . ورجائي ان يعمد
الاهلون بدلاً من تخريب الغابات واستئصالها الى احياؤها وتعهدها وبذلك يحفظون
منافعهم ويحافظون على حقوق الخزينة والله الموفق



النفس الانكليزية

لم تبلغ امة من الدماء ما بلغه الانكليز فيه وكأنه خلق استحكم فيهم مع الزمن وتوارثه الاخلاف عن الاسلاف وتسلسل فيهم حتى اتى بالعجائب ومن درس تاريخ هذه الامة يراها تصبر وتصابر لاول وهلة وثباتا طاش لها سهم فاذا رأت الفرصة وثبت ومضى انفسح لها المجال جالت .

ثبتت هذه المتقدمة من مسائلين نحلى فيهما دماء الانكليز في التاريخ وهو ان الحروب الصليبية التي دامت في سورية نحو قرنين وأغرقت فيها الدماء سيولا لم تنته وترجع دول النصرانية عن حرب دولة الاسلام الا بتدخل ريشاردس قلب الاسد صاحب انكلترا اذ ذاك في الامر فعرض سرا ان يزوج اخته من ابي بكر بن ايوب شقيق الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ولورثي القوس لما تأخر صاحب انكلترا عن اجراء هذا العقد فانظر الى دماء هذا الرجل وهو في القرون الوسطى وفي صدد حرب دينية كيف يتسامح بزواج اخته من غير ابن نخلته حرصا على مصلحته . قال ابو الفدا في حوادث سنة سبع وثمانين وخمسمائة : تراسل الفرنج والسلاطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكلترا ويكون للملك العادل القدس ولا مراة عكا فغضر القيسيون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال .

هذا هو الباب الاول الذي طرقة ملك الانكليز فلم يبلغ لتعصب قومه وكان قد رأى ان ملك الالمان جاء عن طريق الاستانة برا الى فلسطين في مئة الف من رجاله فهلك معظمهم في بلاد الارمن ولم يصل منهم على ما قال المؤرخون سوى الف نسمة حتى ان ملكهم هلك غرقا في نهر في الاناضول كان انغمس فيه ليستحم فابتن ريشاردس ان امر هذه الفتن بطول وان الغنية التي دعا اليها بطرس الراهب ايسر استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين لا توازي هذا القدر من الدماء فطرق بابا ثانيا فجاء بعد ان شاهد جبل الصليبيين قد اضطرب وطلب الصلح بعد ان يشت الرسل في عتده وعجل بمغادرة صلاح الدين في معنى الصلح فبعث في احدى تلك السفارات يقول لصلاح الدين لا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم قال القاضي ابن شداد بعد ان ذكر ماعرضه ملكهم من شروط الصلح العجيبة : فانظر الى هذه الصناعة في استخلاص الغرض بالدين تارة وبالخيانة اخرى وكان مضطرا

الى الزواح وهذا عمله مع اضطرابه والله المسؤول في ان يكفي المسلمين مكروهما بلوا باعظم حيلة ولا اشد اقداما منه ٥٠٠ ولقد كانت ملك انكلترا صادق جماعة من ممالك صلاح الدين ودخل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا يجتمعون به في اوقات متعددة وكان في كل هذا يخطط الجذب بالمرزق حتى يتوصل الى مأربه الا وهو استرجاع بيت المقدس الذي استقله صلاح الدين منهم

ثم تذرع ذلك الداهية الى انقاذ اهل نخلته من شر الفتنة وكان المسلمون قد ضاقوا ذرعا بمداغتهم وزحزحتهم عن تلك الديار فبادر صاحب انكلترا الى عقد الصلح سنة ٥٨٨ هـ وسبب ذلك كما قال ابو الفدا ان ملك الانكليز مرض وطال عليه البيكار (?) فكانت الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبه السلطان الى ذلك ثم اتفق رأي الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر المسكر وتفتت نفقاتهم فاجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة ولم يخلف ملك الانكلترا بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان المانوك لا يخلعون ونعم السلطان بذلك وحلف الكنديري ابن اخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلب وغيره من عطاء الفرنج ووصل ابن الهنغري وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستخلفوا الملك العادل اخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن ابي الدين عمر والملك الجهاد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الاحبذ بهرام شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين بلدرم الباروقي صاحب تل باشير والامير سابق الدين عثمان بن الدابة صاحب شيزر والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار

هذه هي المسألة الاولى التي تجلي فيها الدهاء الانكليزي في اجلى مظاهره والمسألة الثانية وهي احدث من الاولى عهدا ولكن يخالها مئات من المسائل كلها سلسلة دهاء هي مسألة الاستعمار فان الانكليز لم تفتح امامهم مصارف جديدة للتجارة الا لما اكتشف كريستوف كولمبس اميركا ولقد تقدمت البرتغال غيرها من الدول لاستعمار الارض وتلتها اسبانيا ثم هولاندة وقد بلغت هذه الدولات الثلاث اوج مجدهن الاستعماري في النصف الثاني من القرن السادس عشر ايام كانت انكلترا لم تظهر بعد على ملعب الاستعمار ثم جاءت فرنسا فانكلترا ولكن هذه الدولة بنت الدول

الاربع الاول واثبتت انها دولة بحرية عظمى في صلح او ترخت سنة ١٧١٣^(١) وتطلع الى الاستيلاء على البحار ولكن هذا الدماء في تأخر الانكليز عن دخول معمران الاستعمار قد هيا لانكترا الاستئثار بالاتجار مع اميركا . وانكترا اقرب الدول الى العالم الجديد وشطوطها وهي تمتد على مسافة ٧٩٠٠ كيلومتر اي ضمنى شطوط فرنسا واكثر الدول البحرية الاربع قربا الى شطوط بحر الظلمات من سية الآخر فقبل سنة ١٦٠٠ ميلادية لم يكن لانكترا مستعمرات خارج اوربا وبالدهاء السياسي افتتحت انكترا الجديدة وفيرجينيا واخذ شارلس الثاني سنة ١٦٦١ مملكة الهند وكانت سبب غنى انكترا وعظمتها هيا اخذها اناس من تجار الانكليز دخلوا مع الهنود دخول السل في جسم العليل وكان من امرهم ما كان .

وهكذا لو نقصنا التاريخ لشاهدنا امثلة كثيرة في الدماء الانكليزي الذي لا يشبه دماء في الامم وابقنا ان الثبات والصبر والتأني والسكون الذي خص به هذا العنصر هو الذي كان سبب نجاحه في اعماله فاشتهرت بمجودتها على قتلها وتدرتها وسياسته اشتهرت بمجدتها على جفائها والتاريخ اعظم ترجم عن الاسراء والامم وبه تكشف حقائق البشر وخصائص الشعوب

ولهذا الدماء والتأني والصبر اسباب طبيعية وصناعية في انكترا يبحث فيها علماء الاجتماع والنفس فما قاله اميل بوتي من كبار علماء فرنسا "ان القوى الطبيعية هي من جملة الاسباب التي تؤثر في تربية الشعب . وهذه القوى هي صورة الارض الظاهرة وبجبالها وانهارها وبرها وبحرها وقسوة مناخها او لطافتها ووفرة ثمارها الارضية او ندرتها . فان تأثيرها قديم كالانسان ولا سبيل الى ان نجد في التاريخ دوراً لم تؤثر هذه الحالات في البشر واذا كان عرض للانسان قلب وابدال فذلك ناشئ من مجموع اسباب وهذه الاسباب هي التي سماها تين العالم الفرنسي « المحيط » او البيئة والعادات والقوانين المزبورة على

(١) او ترخت مدينة في هولاندة وولاية تسمى باسمها وسكان المدينة نحو مئة وعشرة آلاف وفيها مدرسة جامعة كلية ومعامل للمخمل (القطيفة) مشهورة منذ القدم وفيها عقدت انكترا وفرنسا واسبانيا وهولاندة الصلح سنة ١٧١٣ انتهت بها حرب ارث التاج الاسباني

(٢) كتاب علم الروح الانكليزية في السياسة خلال القرن التاسع عشر لامييل بوتي

Emile Boutmy. Essai d'une psychologie politique du peuple anglais au XIX^e siècle

الحجر والمذاهب الدينية والاشعار القصصية وغيرها كانت لاول الامر نتيجة المحيط الطبيعي فاصبحت مع الزمن ذات تماسك وحياة خاصة وصارت تولد بذاتها شعوراً وتسرّب الى الاسباب الطبيعية العظمى ولكن هذه الاسباب الرئيسة ما برحت تغشى هذه الجمعية البشرية التي كانت هي الباعثة اليها ولما اليوم تأثير كبير حتى انها لتأتي على الاخلاق .
الراثة والمواهب الارثية فتغيرها وتعمل فيها ما فعلته في اهل الاجيال الاولى

انكثرا من بلاد الشمال ولما بين بلاد الشمال مركز امتازت به فليس لافليهما ما يعادله بين الاقاليم لانها تتمتع بمناخ يكاد لا يختلف طوره فلا ترى في الشتاء بهلا في الهواء من شمالي انكثرا الى جنوبها على مسافة سبعة كيلومتر فيستطيع سكان بريطانيا ان ينتقلوا من ناحية الى اخرى بدون ان تتأثر اجسامهم من هذا التنقل وتختلف انكثرا عن سائر بلاد الشمال بتعرج شطوطها وخصب تربتها في حين يضعف الهواء المرء في اواسط بلاد روسيا او في شمالي بروسيا فيكتفي الروسي بما حضر له به من حاجاته ولذلك يقل فيه . فكر الاقدام على الاعمال اما الطبيعة في بلاد الانكليز فتنادي ساكنها بقولها انك يا هذا تهلك اذا تراخيت وتستمتع اذا جددت . فالهواء في بلاد الانكليز رطب ولكنه صحي وثقيل بحيث يكاد يصعب استنشاقه احياناً والجسم يهزل فيه اذا لم يتغلب عليه بحركات كثيرة . وان انكثرا لتطفع بطوال القامات ضخام الاجسام اشداء البنية وفيها من المعمرين الشيوخ اكثر من كل بلد من بلاد اوربا . والارض الانكليزية بما تترطب به من الضباب او يغمرها من هطول الامطار تحتاج على الدوام الى التجهيف بالقساطر حتى لا تغدو بطائح او غابات وهي بفضل تهيئتها خصبة مرعة . ومناخ انكثرا يحتاج الى الغذاء الكثير ولا سيما اللحوم وارضها مستعدة كل الاستعداد لتربية الماشية والبحر بما ضم بطنه من الاسماك يدخل في مضائق الى ارض بريطانيا العظمى فيصبح العبيد على طرف النام .

وبالنظر لرطوبة الهواء على الدوام واصفرار الشمس بما يداهما من الضباب الذي يغل اشعة الشمس غلا لا تنزال الظلمة سائدة شطراً من النهار يضطر معه ابن تلك البلاد ان يحسن لباسه وشماته ودثته ويبحث عن الاعمال التي تحتاج الى كدح وكده فهو في حاجة الى جوخ لثيابه والى جدران غليظة لمسكنه فتراه بصرف جزءاً مهماً من وقته في النسيج والتقطير واستخراج الفحم او تراب النفط لوقيد Tourbe خلافاً لابن جنوبي اوربا فانه لا يحتاج الى مثل تلك العدة ليعيش والانكليزي اذا لم يجدد حاجاته

في ارضه يجلبها من الخارج بواسطة المقايضة مع ما صنعته احشاء بلاده من المعادن والمناجم ويسهل عليه تناول ذلك بما له من وسائل النقل السريعة الرخيصة الاجور ولذا كانت الطبيعة الخارجية للامة الانكليزية مدرسة ابداع ونشاط وحذر وتدريب فتشأت هذه الفضائل من اسباب جلب المصالح ودور المضار وكانت من كاليات الاخلاق في هذا الجنس ودعا الجهاد للحياة وهو هنا اصعب منه في كل بقعة الى ان ينسلخ عنه بالانتخاب الطبيعي كل من لم يبرز قوا هذه الصفات اللازمة كالمرضى والجامعين والجهلاء والعطلين ولم يبق من هذا العنصر غير الاقوياء اهل الدراية العاملين وتأصل ذوق العمل بنشاط دائم فعال في النفوس حتى صار كأنه ارثي فيها.

قالوا ان الشعب الانكليزي شعب انتفاعي وهذا يصدق على كثير من الشعوب ولكن العامل الاكبر اليوم في هذه الامة الهوى في العمل للعمل والميل اليه حجاب به . وما الحياة السياسية في انكلترا الا ناشئة من الميل الى تمرين القوة والبذل منها بطائل وبدون طائل ومن يجتاز البلاد الانكليزية يشعر بحاجة الامة الى هذا التمرين والى هذا الصرف من القوة بما يراه من الحركة على السيارات واشغال قوم بالالعاب الشاقة فيوقن بان الرياضات البدنية الشديدة ليست في انكلترا مدعاة للتسلية بل هي ضرورة لدفع حاجة طبيعية لا تقل في ميسر الحاجة اليها عن الجوع والعطش

وكل من زار لندرا يشهد الرجال من الانكليز يركضون في الشوارع عدواً كأنهم في سبيل مهم جداً يوشك ان يذهب اذا ابطأوا عليه فيركضون نحوه بدون ان ينظروا ذات اليمين وذات الشمال للتغذية والتسلية فهم لا يضعون نصب اعينهم غير الغاية العملية التي هي هدفهم ومنتهجهم حتى اذا وصل العامل الى مكتبه او عمله ينصرف اليه بجملة ولا يدخل فيه غيره ولا يلتفت الى ما يصده او يخطر بباله في غير ما هو بسبيله فتراه لا يتقطع دقيقة عما هو مأخوذ به ولا يني في مهمته . ولذلك كانت اجرة الدامل الانكليزي ارقى من اجور عملة الامم الاخرى لانه لا يلبس شيء اثناء العمل ويعمل نحو ضعف ما يعمله الايرلاندي او الالماني مثلاً . وهذا المزاج الخاص يولد في جميع الفروع عملاً مدحاً وانك لا ترى نساء الانكليز لا يستنكفون من عمل بتعايطه لتكوين لحباتهن غاية فينصرفن الى تأسيس جمعيات الاحسان ويخدمن في المستشفيات ويعملن اعمالاً قد تعدها بعض الامم المتقدمة من الاعمال الوضيعة ولكنها تكون لخدمة الانسانية ولداخل خمسون الف امرأة في الحزب الحر في انكلترا وشاركن الرجال ومنهن المطالبات بحقوق الانتخاب

والمؤمنون من الانكليز بالدين لا يؤمنون به وينصرفون عن كل شيء بل يعملون باسمين ويجهدون في الحياة لا يصدح ما اخذوا انفسهم به من الغاية عن النظر في دنياهم

وبعد فان الذوق واعتياد العمل يجب ان ينظر اليهما كأنهما خاصية جوهرية وصفة لازمة اختيارية لهذا الجنس فهما يصحان الانكليزي حيث يذهب تشفعهما الاسباب المكتومة من نياته وهما مفتاح اسبابه وان الدواعي التي ادخلت ضرورة العمل في هذا الجنس قد اضعفت اليوم من شأنها وذلك لان كثرة الغنى العقلي والمادي قد زاد عدد الاغنياء واضعف على التدرج في جزء من سواد الامة الانكليزية الغريزة الارثية التي بها يعترف الانسان بقانون العمل ويقبل به . فاصبح الكسالى والضعاف في هذا المحيط الجديد أكثر حظاً في البقاء فتأثرت منهم عنصر خاص تحرص حكومته على جلب المنافع اليه واهل السعة من الانكليز يبذلون الفضل من اموالهم له وكل هذا على الجملة لا يضر الصفات التي ورثها الانكليز وتأصلت فيهم مدة قرون .

للاقليم في انكلترا تأثير مهم في الشعور والمدارك فهي البلاد التي يحفها هوائها وتكثر كهر بائيتها التي تقوي الالياف وتمنن الانسجة ويكون الاحساس في اهلها امرع . ومثل الحسن يكون التصور الطبيعي اي حاسة تمثل المحسوسات فانها في الانكليزي متأخر ولذلك نرى الاعمال الجراحية تكون اقرب الى النجاح في الانكليزي منها في الايطالي مثلاً لان الاول قلما يضطرب كالثاني . وقد شاهدت خصوم الانكليز من عسكرهم في حروب اسبانيا وازرلو وانكرمان عجباً اذ لم يكونوا يتأثرون للاعضاء تهتر والقذازت تنجز والعظم يكسر وحشجة الارواح تنصاعد

ان ارض انكلترا على ما خصت به من العبوسة والامطار الغزيرة والضباب المتواصل والطبيعة الساكنة قد اثرت في نفوس بنيها حتى لم يجدوا في الوجود ما يشغلهم ولذا شغلوا بخاصة انفسهم وقل كلامهم كما قل شعورهم بما يأتيه من خارج والكلام كالشعور والفكر يرئني ويصفو بالرعاية وخضال العيش وهو اثر من آثار الثروة العامة والفراغ . ولقد وصف الفيلسوف تين الشعب البريطاني بقوله من السرور الذي يشغله السكوت وهو من اعظم ما تطمح اليه نفس كل انكليزي ان يجاهد في امر ويقعمل المشاق ولا يتنازل عما نوى . وقد اعرب شاعرهم تنسون عن مثل هذا الفكر شعراً جاء معناه : ما اعظم على النفوس ان تقف دون غاية وتجعل لقواها حداً وانت تصدأ كالسيف يعلق على

الحائط بدلاً من ان يلج في يد حمله ويصفو بالاستعمال . ليس استنشاق الهواء هو الحياة بل اننا اذا فقدنا كثيراً فقد بقي علينا كثير فما كنا عليه مبرحاً فيه : قلوب ابطال شأنها التساوي بانفسها اصبحت على الزمن ويد القدر نهب الضعف ولكنهم مسلحة بارادة شديدة في مضائهم وابتعادها وان لا تلبث قناتها ابدآ .

نقل في العنصر الانكليزي على الجملة الكفاءة لتصور الافكار العامة ويكره النظريات المجردة كما يكره المذاهب المتفرقة فليس للانكليزي شيء من المجردات يشغله بل تراه على الدوام مأخوذاً بضرورة العمل اليأس معنى هذا ان حاسة العموميات ضعيف تركيبها في انكلترا بل ان العقل عملي لا يقبل الا ما يلزمه وينفعه يعرف كيف يضبط نفسه ويحدد حدوده حتى اذا سار بنفسه سار سيراً نافعاً لا سيراً تكراراً فعقله لا يشبه قائدآ في جيش يفكر في وضع خطط المعجم والقتال بل عقله يشبه ضابطاً يقود بمبدأ عن معممات الحرب قسماً من الجند الاحتياطي المساعد فلا ترى في هذا الضابط قابلية لان يكون في الطليعة ولكنه يجيد في اتخاذ مركزه في النقط التي تتجاوزها الجيش المهاجم وينظم فيها المقاومة

لا شيء يقع على عقل الانكليزي من الغرابة أكثر من انكاره القوة الطبيعية *Naturalisme* والنظريات في الالهيات والمقولات بل يرى ان اجنحة الفكر لم تبحر في غو ولذلك لم تستعد للطيران مسافات طويلة بل هي تساعده فقط على السير فاذا ارتفع هنيئة وحلق في الجو فذلك ليعود الى الارض بعد مدة قليلة وهذا مادعا يفكر في الامور القريبة التي أكثر ما تكون مساساً به مباشرة وله من مشاغله في تحصيل ثروته وتحسين زراعته ما يصد عن الحق ولا يفرغ ذهنه الى النظر الى الاشباح الفارغة فهي بعيدة من الارض جداً غريبة عن الحياة الدنيا غير ملتزمة مع شروطها وضرورتها ولذا ترى الانكليزي في مسائل الدين لا يتعدى افق العالم المدقق باحوال النفس والاخلاقي الذي يبحث في المرنيات وليس هو صوفياً او متكرراً ولا موحداً وهو لا ينظر الى القواعد الموضوعية والالفاظ بل ينظر الى الغاية من الدين أكثر من الواسطة وهكذا هو في السياسة فلا نغوم حرته فقط على الدستور الذي يمنع الحرية على التقاليد الموروثة التي تحمي حري الحرية القديمة المتأصلة فيه

من غريب حال الانكليزي ان كثيراً من حملة العلم فيهم لم يتعلموا العلوم اللازمة للامام بالثرية العامة فهم اخصائيون لا تشوبهم شائبة وان من يحاول في انكلترا ان يتحدث

احد علمائهم في العلم المجرد لا يجد من يستمع لكلامه فالعالم الطبيعي عندهم هو الذي يعرف كيف يصنع غرذجا ميكانيكيا يطبق فيه العلم على العمل فقط حتى انك لا ترى في كتبهم في الكهرباء الا حبالا مرسومة تعلق وتمتد ومواسير يقطر منها ماء، وغيرها ينتفخ وآخر ينقبض وهكذا انك كثيرا في حناياتها فلا يصدر منها الا ما يقع تحت حسها ولا تقص في قصصها الا ما يماثل حالتها الطبيعية وكذلك تاريخها ورواياتها الشخصية وفلسفتها فان فلسفة اوغست كونت الحية ومخترعها فرنسوي وجدت لها اعوانا في انكثرا اكثر مما وجدت في فرنسا لانها صادفت هوى في افئدة القوم

فهذا هو الشعب الذي قدر له ان ينشر البروتستانتية بثباته ويخرج من الكيسة والكشكة اذ كانت دين سلطة قادرة روحية تقنن وتحظر وتعاقب والناس معها مكرهون على القيام بتعاليمها اما المذهب البروتستنتي فهو دين الحكومة الذاتية الوجداني فالاول موجود النظام والقاعدة والآخر محافظ النشاط ومبدعه وهذا هو الدين الذي يناسب امة خلقت لتعمل.

ان تأخر سن البلوغ في شبان الانكليز وعفة النساء الانكليزيات وتعدد الأمر والبيوت كل ذلك من اخلاق الانكليزي الحديث كما كان قديما من خصائص اخلاق الجرمانيين سكان انكلترا الاصليين . وامتازت الامة الانكليزية من بين الامم بانها ظلت متجانسة ولم تفتزع بغيرها فالانكليز وهم اهم عنصر تتألف منه انكلترا هم جرمانيون من بلاد الشمال ومن اجداد الجرمانيين انكليز وجوت وسكسونيون وكلهم من عنصر الماني والذين جاؤا بعد لاستيطان انكلترا مثل الدانيركيين والنورمانديين هم فروع نشبت من نفس تلك الدوحة

وان ما يرى من شدة بأس الانكليز وقوة عضلاتهم يذكرنا بما قاله امبرسون فيلسوف اميركا قال الطبيعة : قد اتنى الزمان الرومانيين ومحا اسمهم من سجل الوجود واني اريد ان اوّسس مملكة جديدة وساختر عنصرا شديدا الشكينة كلهم ذكور ولكنهم باجمعهم ذوو قوة وحشية فن ثم لا عارض فيما ارى من المئانة بين الذكور القساء المتبريرين الا فليدخل الجاموس قرنه في رأس الجاموس الآخر فيبقى المرعى لاكثرها قوة فانالي عمل اريد اتمامه يحتاج الى ارادة وعضلات . « وهو لا . هم الانكليز الذين لا يمتزجون خارج بلادهم بغيرهم من الامم ولكنهم في ارضهم اكثر الامم حربية واكثرها اكراما وايسرهم لقبول الغرباء ليست انكلترا جزيرة بل هي قارة فما من امة اشبهت في افكار

ومنازع ثأبها من اوربا نفسها سرى أنكلترا واطلما اقتدت بالبلاد الأخرى ولكن كان اقتداءه مؤقتاً كأنه للتسليّة أو هو سطحي كأنه زبي من الأزياء. أما سراد الشعب فلم يمس بشيء في منازعه بل ظل مخلصاً لاختلاقه الأروية وبالجملة فقد كانت دواعي الاختلاط قليلة جداً بين الانكليز وغيرهم ولا سيما عامة الأمة فالانكليزي أشبه بساكن الولايات في اوربا وفكره كالشراب بقي زمناً في مأمن من الاهتزاز فغثّر وكثف ولم تعد له تلك الميوعة التي توهله الى الاختلاط بشراب آخر

وكان لهذه الصيغة الخاصة وقلة الرقة في الاخلاق الانكليزية نتيجة مهمة شوهدت في كيفية الاستعمار البريطاني ونتيجته . فما قط تمازج العنصر الانكليزي بغيره من العناصر في البلاد التي اخضعها لسلطانه فهو كالمعدن البعيد جداً عن نقطة التذويب فلا يتأق ان يعمل منه ادنى مزج وما قط ساووا بانفسهم تلك الشعوب التي افتتحوها ببلادها وماتلغفوا في استمالة قلوبهم فلم يعرفوا الا ان يظلمهم ويستنزفوا مادتهم ويدوسهم او يفتنهم .

ابان الانكليز انحاءاً عن عدم كفاية في فهم مناحي العناصر المختلة وان يتقربوا اليها ليأخذوا بأيديها ويقوموا بناعضين واياها بما علموا به ايرلاندا من المعاملة السوأى ومثل ذلك يقبلى في ادارتهم الهند ومصر . فالانكليز يأتون تلك الشعوب بثروة مادية ونظام وامن وغنى قارى سلطتهم في بلاد الهند مثلاً على احسن طريقة ونظام مدقق قوامه الحشمة والادب وهم فيها بعد قرن من الزمن لم يخرجوا عن كونهم اناساً جفاة لا يألون ولا يؤثرون وكلما طال العهد عليهم تراهم في ارضها غرباء والاصوات تملأ للخلاص من ربقتهم . وان يوماً يغادرون فيه البلاد المستعبدة لعزيز على نفوس اهليها ولو ذهبت بذهائهم الرفاهية والسلام .

نحكم الانكليزي منهنك لقوى العناصر المختلة وهو استبدادي وكثيراً ما يكون قتالاً في البلاد التي يكون فيها للاهلين مجال معهم ولا يدانهم بنشاطهم واراداتهم لان هؤلاء الفاتحين لم يزرعوا حفظاً من تلبين وصايتهم وتعارفها على الصغار والضعاف بل لا يتشلون ولا يعنون بغير اغوائهم والمساوين لهم .

نعم الانكليزي أكثر الامم اغراقاً في الابتعاد عن الناس والعزوف عن مجتمعتهم فهو يشعر بأنه اقل من غيره علاقة بالمجتمع البشري وقلما يقتبس من صلاته مع غيره شيئاً يستفيد به في تركيب اخلاقه وقلما يبحث عما يفكرون فيه واذا بحث فبحثه بمجرد

لا يدخل نتيجة في عواطفه واعماله فهو ناسك بعيد عن العالم وعن غيره من الامم بل هو بعيد عن جاره الذي يسكنه في حي واحد والمحيط الذي يعيش فيه وما يشعر فيه بنفسه قلما يكون نسخة بسيطة مما يراه في الخارج نغاقه هو مثل شجرة كبرت تحت القشرة في نوع من الصدف فهو لا يثمر كقشرة الخوخة وما يمر عليها من مجرى الشمس لا يزيد ما اصفراراً ولا احمراراً

الانكليزي لا يشعر باقل فخر من العيش وحده ولا يجد حاجة ان يقص ما عمله على غيره ولا يسوقه سائق نفسي ان يقف على ما عمله غيره فهو فيما خلا الشؤون التي تمسه مباشرة لا يهتم الا بماله علاقة بالمسائل الوطنية العامة التي تمسه ولكن لا مباشرة بل من طريق وطنيته . يقول اميسون : « انك تحب الانكليزي اذا اجتمع مع الاجانب اخرس فهو لا يصالحك ولا يتركك تنظر ما في عينيه في الفندق ويلفظ اسمه بحيث لا يسمع نكل واحد من هؤلاء الجزائريين جزيرة بعينها » ويقول مونتسكيو : « يصعب على الفرنسي ان يكون لهم احباب في انكلترا وكيف يجب الانكليز الغرباء عنهم وهم لا يحبون انفسهم وفي يعطوننا ما نأكل وهم لا يشاءوا كون . يجب ان نجرب على خطتهم فلا نهم باحد ولا نحب احداً ولا نعتمد على احد »

ومن الغريب ان هذه الامة العازقة عن العشرة البعيدة عن الاختلاط تراها في امورها الداخلية من أكثر الامم ميلاً الى الاشتراك وماحدثت اندبتها ومجامعها وشركاتها المالية بخاف عن احد . وقد شرح فولني العالم الفرنسي سر نجاح الانكليز في الزراعة والتجارة والصناعة بقوله : « انهم بالسكوت يجمعون افكارهم وبتفرغون الى التدبير والتقدير على ما ينبغي ويحسبون دخلهم وخرجهم وبصفو فكرهم اكثر وينبعث كلامهم جلياً ومن هنا كان التدقيق والرواء رائد جميع اعمالهم العامة والخاصة » وقال كارل لاهل الفيلسوف الانكليزي : الانكليز شعب اخرس . ثم شرح هذه العبارة بقوله : ان السكوت يزيد في علاقتهم ونظامهم مع ما بين عنه الناس . الانكليزي يميل الى الاختفاء ولا يهتم الظهور بيهمة تجوهد العمل من حيث هو عمل نافع ولذلك ترى جرائد انكلترا لا يوقع كتابها على مقالاتها وهي مع هذا ارقى من جرائد فرنسا التي يوقع كتابها على مقالاتها يقال عنهم انهم كتبوا ومن أثر الاختفاء من هؤلاء لا يلبث ان يظهر اسمه بصنوه

ان كان من خاني الانكليزي الافراد على العظام فان حب الجهد والذوق في

الجمهور ليس فيه الا على ضعف ايضا فالانكليزي يبقى انكليزيا ويعيش عيشا انكليزيا حيثما ينزل . والانكليزي اقل من الفرنسي والاطال في اليأس من النجاح واكثر منهما هزواً بالمتاعب والخطاطر لعله بان لها حداً تقف عنده ولا بد من حل مشكلاتها وقلا تراه يحسب حساباً لتكد الطالع فتري الشاب يتزوج من فتاة وهو في مستقبل العمر ولا يطالبها بياضة (دولة) بل يقترن بها بلا مهر ويقدم على تأسيس أسرة فيزيد نفقاته ثلاثة اضعاف ما كانت عليه والصانع يقدم على ادخال اصلاح في عمله بجرأة ويتخذ وسائل النجاح وهو يعلم انه لا يلبث ان يتم اصلاح مصنعه حتى يقوم صانع آخر بنفسه ولكنه يكون استفاد من الفترة بين اصلاحه واصلاح منافسه وترى المهاجر منهم لا سبيل له ولا لبد ومع هذا ينزع ويرزح تحت اثقال المتاعب وهناك سبب آخر واعني به الهوى في العمل او التجهن فيه وفي الحركة والذوق في العمل من اجل انه عمل وكل ذلك مما تقتضيه حاله الطبيعية . وانا لارى المرسلين منهم يشغرون في الارض ولا يخافون بل يتعززون بما يتم على ايديهم في الافاصي وينامون ملء جفونهم شاكرين ويمولون اعمالاً في السر ابتغاء وجه الله

ومن خلق الانكليزي انه متشدد في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فارباب العقول الغربية في تصورها كثيرون ولكنك لا ترى فيهم احداً يميل الى الثورة وقد اشتهرت انكلترا بانها بلد التقليد المتعصبة حتى على التبدل اللازم وثلاثة ارباع سكانها لا يشعرون بالحاجة الى ادخال تعديل في القوانين والاخلاق والريع الاخر يقبل بالتبدل في بعض احوال مخصوصة ويتعلق بها ويلحقها بنشاط ولذا رأينا الشعب الانكليزي قد جالده لاول وهلة ريثما أدخلت عليه اساليب الارتقاء حتى المادي منه فلما دخله صار في لمح وعظمه وهكذا شأن الامة العظيمة لتتشد في تغاليدها وتستكشف في الغالب عن قبول كل جديد الا اذا ثبت لها ما يقضه ثبوت الشمس والقمر .

مهما بلغ من الخطا مكانة الرجل الانكليزي في المجتمع ومهما بلغت حرفته من الامتياز لا يحسد من كان اعلى منه منزلة وله من عمله الذي يستمتع بفوائده اعظم سلوى ولذلك قل ان مالت الطبقة العاملة في انكلترا الى تغيير نظام الاشراف في المجتمع وذلك لاعتقادها بان الاعمال مقسمة لان الحظوظ متباينة . وبينما ترى فرنسا تقول للوزير كن فكان مهما كان وضيعاً والنائب كن نائباً فكان مهما كان مخطفاً سيفه اصله وللشريف كن شريفاً فيكون تجدد انكلترا لا تسمح لوضع ان يعد في حجة العطاء الا بعد ثلاثة

اجيال وذلك على نظام وترتيب تدريجي لعلم القوم بان الطبيعة في انكثرتا نشأ في كل شيء ولذلك اقتضى ان يكون ارتقاء الناس كذلك

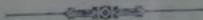
من خصائص الانكليزي انه يشبه ميكانيكياً تعلم علم الحيل (الميكانيك) بالتجربة لا بالنظر فتراهم همتاً ان ينتج بما له من آلة ما يمكن من النتائج ولا يحرص على تبديل محركها او ادواتها لعلهم بانه اذا فعل ذلك اقتضى عليه ان يوقف العمل وان يبدل بلا نتيجة وقتاً واحكاماً من رأس ماله المحدود وهو يدرك بانه اذا حدث للآلة ما يضر سيرها تقف حيثما تقف وتقطع فائدته وفائدتها ولذلك يجد من نفسه داعياً الى التبول بتعديل آلة على ان يغير ادواتها القديمة بادوات جديدة ولكن بدون ان يوقف الآلة ويقل من مغلها

يعتقد الانكليز بالضعف البشري ويشعرون بضرورة اخذ الامور بالتدريج والبدء بها من الصغير للوصول الى الكبير حتى لا تقف القاطرة في هذا الجهاد وتتهور في مخدر لا تقوم منه فهم في شرائعهم يكتفون بتعديلها واصلاحها مع الزمن وما قف حدثهم انفسهم ان يضر بها بما لديهم عرض الحائط ويضعوا غيرها من عند انفسهم. ولكن الانكليزي مع هذا اذا رأى الخير في تعديل قانونه يصر عليه فقد رأينا اصحاب الصحف على عهد الاصلاح البرلماني الكبير قد صعب عليهم ان يصدروا منشوراتهم النفعه لانه قضى عليهم ان يدفعوا عن كل نشره طابعاً فاجموا امرهم على ان يصدروها بدون طوابع فغرمتهم الحكومة وحبسهم ولكن جرائدهم ومنشوراتهم ظلت تصدر على عادتها بدون طوابع واصروا الا يرفعها قضت اربع سنين على هذه المسألة وقد حبس لاجلها زهاء خمسمائة رجل ثم اضطرت دار التدو ان تجيب الطلب وان كانت الحكومة تضرت من هذا القسم المهم في الميزانية

يعمل الانكليزي حبا بالعمل نفسه على حين يعمل غيره من الامم لاحراز الثمرة التي تعقب الشرف او الراحة والرفاهية والدليل على ذلك ما نراه في اهل الطبقة العالية منهم ممن لهم من ثروتهم ما يغنيهم من تعاطي اي عمل كان. نراه يصرفون نصف ايامهم في الالعاب الرياضية الشديدة ولا يبالون فكأن الرياضات لهم كالفطرة المستحكة كما كانت الالعاب الاولمبية في يونان ايام عزمهم ثم انك لا تجد غنياً لا يصرف شطراً من وقته في النظر في شؤون مقاطعة او برشية وكثيراً ما يهلك قواه في هذا السبيل على حين تجد ابنه في اوستراليا او مانيتوبا يعيش مع رعاة الغنم في تلك البلاد القاصية المنفردة وابنه الآخر من المرسلين في جنوبي افريقية يعمل شاق الاعمال

ويتنازى الانكليزي اكثر الامم تحاشياً مما فيه عبودية واحرص الناس على التناهي بالحرية الشخصية والحرية المدنية كحرية الاجتماع وحرية التكلم وحرية القول نراه في نظام أسرته قد احتفظ حتى الآن بنظام الحكم المطلق فترى الابنة تأتي زوجها بدون ان يعطيها والدها بائة لان العادة جرت بين الاغنياء وارباب اليسار ان يحفظوا بكر الاولاد العقارات ويقسموا الاشياء المنقولة بينه وبين اخيه الاصغر منه سنًا وتنال الابنة حصة من ذلك ويكون في الاغلب دخلاً قليلاً تناله من واردات ابيها . حرمت من ذلك حتى لا تنجي دار زوجها بما يرفع رأسها عليه لان الرجال يريدون ان تكون لهم السلطة التامة في بيوتهم حتى انه اذا اتفق ان ازواجهم جاؤهن بشيء من المال يضيفونه الى ثروتهم ويحرمونهن حتى من الوصاية على اولادهن ومن التصرف باموالهن . عادات قديمة ورثوها تحافظوا عليها واذ كان ابطال القرون الوسطى في اوربا قد لطفوا من شأن المرأة لان من عاداتهم الاخذ بايدي الضمفاء والعائرين فن انكثروا لم يدخل عليها هذا اللطف والزوجة مع زوجها وما يختار لا ما تختار هي . وترى الوالد والوالدة يريان ابنتهما بعيداً عنهما ولا تأخذهما شفقة في ذلك والولد اذا غاب عن والديه ينسأهن واذا مثل بين ابديهما يحترمهما .

هذه بعض صفات الانكليز ومنها انبعث ارتناوهم المادي والمعنوي فبحان المعز المذل القابض الباسط رافع الامم وخافضها ومشقيها ومسمدها



الامة تحبو

نريد بالامة هنا الامة العربية او الشعوب العربية وان كان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جارتها وتشدعي بحثاً على حديثها ولكن ما يتعذر على التفصيل يجدر ان يذكر على الاجمال . ننظر فطرة عامة في حال العرب ليتجلى لنا ان كانوا ناهضين نحو الرقي ام هم يسرون سيراً ، مثاقلاً لا يعرفون الغاية ولا يهتدون الى وجه الحق سبيلاً

اذا بدأنا بجرا كش وهي اقصى حدود البلاد العربية نجد انها لم تبرح على ما يلفتنا من امرها امة أمية كما كانت في اواخر القرون الوسطى وهي على استقلاها وقربها من اوربا لم تتأثر بالمدينة الغربية وما فيني اهلها يعيشون في حال التفتت يا كل كبيرهم صغيرهم ويعيش خاصتهم بعامتهم يرون السعادة كل السعادة ما هم فيه ولا تحذتهم انفسهم ان يغيروا منه بان يحثوا عن سر تفاسلهم ولقاتلهم وجاهليتهم .

فاهل مراكز في تقاليد مدنيهم كالذين يتخلون الغشية اي عبادة الاصنام سيف افر يقية بالنسبة لاهل الاديان السماوية الراقية ما زالوا على الفطرة الاصلية وليس عندهم من دواعي البقاء الا مالا غنية عن لكل قيل معها انحطت درجة مجتمعه وهيئات ان تتوحد كلمة المراكشين على تبان اقطارهم وامصارهم مادامت القبائل تتعاضد والحكومة كل يوم في شأن وليس بين قبائل البربر في القاصية وبين اهل فاس وطنجة صلة كما هم من عالم آخر . اما من يسوغ ان يقال عنهم بان لم شيئاً مما يطلق عليه اسم مدينة من باب التجوز وهم سكان الامصار فالخاصة منهم لا يعرفون الا بعض المسائل الدينية والتاريخية وتقف معارفهم عند هذا الحد ومن المتعذر جداً ان ترى مراكشياً قلد الغريين في ملبسه وعيشه ومناحيه وتصور معنى المدينة الفاضلة

وهكذا اذا بحثت تبحث في حال بوادي المغرب الاوسط اي الجزائر ولولا مبادي من الافرنسية يلقنها بعض الجزائريين طوعاً او كرهاً لما رأيتهم الا كبادية مراكش حذو القذة بالقذة . اما مدن الجزائر فسائرة نحو التطبع بطابع المدينة الغربية على تشدد السكان الاصليين واستنكافهم من الاخذ بها والتخاطي من الاقبال في تلفظ ما يضر بكيانهم من قبول تلك المدينة التي تنتهي اذا فتحت لها السبل كلها بصيرورتهم فرنسيات كما هي ارادة الحكومة والقوم مهما ابدوا من المثانة في مجافاة الاوضاع الافرنسية

تضطرم بقوة ولو بعد نصف قرن ان يقبلوا بكل ما تعرضه حكومتهم عليهم من الاوضاع والمنازع التي لا ترى لها ولم سعادة بدونها . والجزائريون لا يستطيعون على تلك الحال ان يدروسوا وحكمهم استعماري حتى ولا مباديء لغتهم لما يحول دون امانتهم من العوائق على ما يقال . وكأنا بالجزائر اذا دام امر المسلمين فيها في تراجع وقد اصبحت فرنسوية في كل حال من احوالها وانك ترى بعض اهلها يهاجرون منذ سنين ويتخلون بطبيعة الهجرة عن عروضهم وعقارهم وينزل مكائهم اناس من الفرنسيين والاطليان والاسبان وغيرهم يستعمرون الارض ويتكلمون الدور والعقار ويقبضون على ازمة التجارة . وقسم من الاهلين يقلد الافرنج فيشمل على طريقته ويحسن لغتهم وينسى لغته وتضعف وطنيته وجنسيته وعقيدته فهذا واولاده من بعده يصحون افرنجا صرفا ان لم يكن في الجيل الثاني ففي الثالث والقسم الآخر من السكان وهو المهم الآن وفيه كثير من ارباب النفي والفكر يجمعون الاقلية بين الاخذ بمذاهب المدنية الحديثة مع المحافظة على تقاليدهم واوضاعهم وهوؤلاء خير طبقة يرجى منها النفع الآجل والعاجل وهناك قسم آخر يحرفهم سيل المدنية الحديثة فيقبلونها رضوا ام لم يرضوا

وانا اذا حسبنا من تعلموا الفرنسية اليوم من الجزائريين ولم يتعلموا لغتهم مائتي الف نسمة من اصل نحو خمسة ملايين بعد ان حكمت فرنسا هذا القطر زهاء سبعين سنة فسرى عدوم يربو على ذلك اضعاقا بعد نصف هذه الحقبة من الزمن . اذ ان الدوائر الدينية والمدنية تكون ضئيلة في الغالب لاول امرها ثم تقوى كالنار اصلها من شرارة ثم يمتد لمبيها وتلتهم البعيد والقريب منها . ويخشى ان يكون حال الجزائر مع من يهاجرونها من ابنائها حال الجو في انكلترا مع سكانها فقضى بقاعدة الانتخاب الطبيعي وقانون الوراثة على العاجزين والخالطين وبقي الشعب على الجملة من الاقوياء الاشداء العاملين الناعضين . نعم نخاذر ان تغذف الجزائر بالخالطين الذين سدت في وجوههم مذاهب المعاش وان تستمض عنهم بالعاملين من الفرنسيين او من الجزائريين انفسهم الآخذين بمذاهب الحياة اخذ الاوربيين .

من اجل هذا ساغ لنا ان نقول ان مستقبل الجزائر ان دام على هذا المتوال مظل محزن ومثلها تونس وان كان الامل بنهوض هذا القطر اقرب من بعض الوجوه لان طرز حكومة الحماية يختلف بعض الشيء عن طرز حكومة الستمرة لوجود حاكم من ابناء البلاد في الصورة ولان بعض الثورين من اهلها لم يسهم بعد طول الروية الا

التثبت الى الرقي باسبابه المنتجة ولو بعد زمن طويل ونعني بذلك التعلم على المناحي الاوربية وعدم اغفال التعاليم القومية والمذهبية . وهذه البزرة على صغرها لا بد ان ياتي يوم عليها تكبر فيه روحها وتثمر في ارض قرطاجنة .

اما اقليم برقة او ولاية طرابلس الغرب فثأنتها على اتساع رقعتها وكثرة سكانها شأن البلاد المتأخرة جداً وجودها في الاخذ بمذاهب الحضارة جمود المغاربة المراكشيين وبلادهم حتى الحواضر منها باقية اكثر منها متحضرة وقلم تجد نهوضاً الى التعلم الحقيقي فيهم والنهضة منهم يرون الاكتفاء بان يلقوا ما يادي العلوم في مدارس الحكومة للتوكل في خدمتها اما سائر مذاهب المدينة فقد اغفلوه ولذلك يصعب ان تقول عنهم انهم كالمفل يقوم ويقعد او يحجو ويدب

جئنا الى مصر ومصر معقد الآمال في مستقبل هذه الامة لان توسطها من الاقطار العربية ومركزها التجاري المهم الداعي الى اختلاطها بالام الاخرى كثيراً وخصب تربتها وغناها وكثرة سكانها كثرة قلم ياتي لواد كوادي النيل ان يحوي مثله نفوساً يوفر لهم مرافق العيش وانتظام حكومتها بعد الاسلام على اختلاف الدول التي حكمتها ومدنيتها القديمة ونظامها الذي عم اريافها كما عم امصارها وتسلس الميل في ابنائها للاخذ بمذاهب الحضارة الغربية وتأسيس اوضاعها والعناية بما يبق على جنسيتها ونجلتها كل هذا مما يرجى منه ان يكون حضارة عربية غربية تأخذ ان شاء الله من الحضارتين اطابيهما على نحو ما فعلت بابان يوم عزمت ان تنشأ نشأة راقية تضاهي بها دول المتعة والمدنية الحديثة فلم تغفل عن شعائرها ولم تنال كل ما وقعت ابصارها عليه من اسباب الحضارة الغربية فجاءت بمدينة لاشرقية ولاغربية بكاد سناضوها يأخذ بالابصار

ولقد خط الزمان لمصر خطة من منظمة في الارتقاء وفيها الدين قلدها الرافدين من الغربيين يعيشهم ومناحيهم وادلائهم بوطنيتهم وأرومتهم وعندها ما يلزم لامة من ادوات الرقي على اتمه الا قليلاً . واذا نشأت لبعض ابنائها رغبة في تلقف العلوم الطبيعية والصناعية كما اولعوا بالعلوم الادبية والسياسية تصبح بعد بضع وعشرين سنة كامة اوربية راقية وربما فاقبت الآن وهي بلها وارثاتها في قارة افريقية بمنزلة المانيا او فرنسا في قارة اوربا كثيراً من الشعوب المتخلفة في جنوبي اوربا

اما سورية فقد انشأت لها مدينة خاصة ان صح ان نسميها كذلك ولكنها متلونة بتلون مصادرهما مختلفة اختلاف ادويتها وغناهم سكانها فالانراك يلقونها الغنم منذ استيلاء

الدولة العلية عليها ولكنهم لم يوفقوا الا بتعليم افراد في بعض البلاد قضت عليهم مصلحتهم -
التجارية كأهل حلب وما جاورها مثلاً بتعليمها او غرامهم بالوظائف العلمية والعسكرية
والملكية كأهل دمشق وطرابلس وبيروت ان يتلقوا بها اما الذين تأثروا من ابنائها بالمدينة
الغربية المنبعثة من المدارس الفرنسية والاميركانية والانكليزية والروسية وغيرها
فاوفر عدداً وان لم تكن تلك المدارس اقدم زمناً وارسخ قدماً في كل الاقطار فهي في
فلسطين اي في جنوبي سورية انوى ما في شمالها وفي غربها اكثر مما هي في شرقها
فجد الناشئة الجديدة على المناحي الغربية في القدس وبافا وحيفا وعكا والناصرية وصور
وصيدا وبيروت ولبنان وطرابلس والاسكندرونة اكثر مما تجد منهم في نابلس وصفد
ودمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية . وكلما كثرت في بلد سواد المسلمين كان
البعد عن الاخذ بمدينة الغرب اكثر من غيره من المدن المحفصة بادبائها وتباين اغراض
المعلمين فيها

وعندنا ان الحكومة تحسن صنعا اذا نشطت في هذا القطر اللغة العربية اكثر من
اللغة التركية او على الاقل جعلتها مثلاً ليكون لها من ابنائها اكفالا في صد تيار المدارس
الاجنبية التي تعد الناس للهجرة اكثر من تحييب بلادهم في اعينهم اما السعي في تزيك
العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كالين والحجاز والعراق والحيرة فسعي
باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان فهو ضخم
الحقيقي والارثا ليسوا بمدتهم على مستوى الفرنسية والانكليزية في الرقي ومعرفة المدخل
والمخرج مثلاً حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عقياً
في نشر التركية فقط في البلاد العربية والدليل على ذلك ان الولايات التركية احط
بكثير من بعض الولايات العربية فوليات سورية وبيروت ارقى ولا شك من ادرنة
وبورصة كما يؤكد ذلك من طافوا هذه الولايات الاربع وخبروا قراها كما خبروا مدنها
اما درجة التهذيب والتعليم في سورية فارقي من بلاد الاكراد واربينية وولايات آسيا
الصغرى اي الاناضول ولذلك جاز لنا هنا ان ندعي ان السوريين كالطفل بدأ يمشي
نحو المدنية الا انه لم يعين له خطة معينة حتى الآن وحالته مناط بفناء نوابه بل نواب
العرب وكفاءتهم في مجلس النواب واذا احسنوا النيابة نالت هذه البلاد حقوقها الادارية
والعلمية والعمرانية والا فتبقى في حالة التذبذب

اما سائر الاقطار العربية فلا يسوغ لنا ان نقول انها اخذت تحبو مادامت الفتن

تهلك قواها وذلك مثل بعض انحاء العراق ونجد واليمن فان الامن لم يكدهم يقرر في
نصابه في قطر من اقاليمها مدة طويلة ومنذ نحو اربعين سنة لا تخلو سنة الا وتنشر
الفتن في بقعة من بقاع اليمن وكذلك جنوب سوريا ونجد والعراق ولولا بقايا مدينة
تقذفها الهند على خليج فارس فينال منها البصرة وبغداد شي لا قليل او تلك الآثار الضئيلة
التي يلقبها الراحلون الى الشرق من اهل الغرب على بعض موافي البحر من جهة الجزيرة
العربية لئن ان هذه لم تختلف حالتها عن بضعة قرون الا ما كان من خلال الامن فيها

وبعد فان حال هؤلاء الملايين في اليمن والحجاز والبصرة وبغداد والجزيرة والشام
وطرابلس الغرب يدل على ان الانتفاع من قليل منظم خير من كثير مشتت وان اهل
سويسرا وهم ليسوا سوى جزء من عشرين جزءاً من العرب المذبحين من شواطئ وبحر
الظلمات الى شواطئ المحيط الهندي أكثر اثراً في المدينة من العرب اليوم وهم لا يلقون عن
ستين مليوناً وما ذلك الا لبعد اقطارهم واختلاف الاغراض في حكوماتهم فتجدها اما الى
اليقظة الغربية او الى الاهمال المدهش . افراط او تفريط وكل هذين ان زاد قتل .

اما سائر البلاد العربية كترنجبار والسودان واواسط افريقية فحالها تبع للاقدار وهي
اقرب الى الانصباغ بصيغة الحاكمين عليها لان اهلها على الغلب ليست لهم في الاصل
مدينة راقية زالت ثم بدأت تعود ولأن افائيم الحارة تفعل في عقولهم ففعلها كما تفعل
الافايم الباردة في عقول الساكنين فيها فتشطها وترث منهم قوة الارادة والنيات
وتطلب منهم مطالب كثيرة تضطرم الى تنويع اساليب العمل

وبعد فليس كمصر بين البلاد في رقيها فهي ام الاقطار العربية وسوف تعلم غيرها
كما نعلمت فترسل اشعة انوارها على الاقطار ولا سيما اذا نالت استقلالها الاداري واصبحت
ذات دستور يحل شؤونها ونهوض البلاد بحسب طبائع الحكومات التي تتولاه

والمدينة كتيار قوي لا تقف في وجه سدود الحكومات بها ضغطت . ورابطة اللغة
والدين اقوى الروابط لانزعها القوانين اليوم . وما جارت والامة الآن تحب وتوشك
ان تمشي مشية الشاب القوي العضلات التام الادوات والصفات . خصوصاً اذا تعاطفت
وتعارفت اكثر مما تعاطف الآن وتعارف وعندنا ان الصلات الاقتصادية اي التجارة
اذا قويت بين هذه البلاد اكثر مما هي الآن ورحل التاجر الراقي من العراق الى تونس
وجاء المراكشي الى الشام ونمض الياني نحو مصر وكثرت الصلات والمواصلات واشتركت
المنافع واتحدت بناتق ان تنزل ولو بعد قرن او قرنين — والقرن والقرنان لا يعبران

شيئاً في حياة الامم — ان هناك امة عربية ذات كيان بذكر لا يقتل عن كيان الطليان والامان او اليابان والاميركان والعصر عصر تكوين الوطنيات باللغات واحياء ما ندرثر من القوات بضم شملها بعد الشتات ولا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والآداب وتذكير الانباء بما فعل الآباء والافتيق هذه الامة الكثرية الحصا الوافرة البقاع والاصقاع امام المدينة الغربية اقرب الى الانصهار منها الى البقاء ومعنى ازم من مرضها بتعذر بروها . سبحان من يحيي العظام وهي رميم

العفة

وتمدح العرب بها

العفة خلق يعصم صاحبه عن تاول مالا يحل : فانما عرض له ملذوذ محرم . او سفت له شهوة محظورة حل هذا الخلق الكريم بينه وبين التلوث بها . وقد غلب استعمال كلمة « العفة » في تجنب فاذورة الزنا . ومن اكرم نفسه عن هذه الفاذورة كان في منجاة من خزي الدنيا . وعذاب الآخرة . ويكفي الزاني خزيها في دنياه ان يكون محتقراً في ذوبه معرضاً للعاهات والامراض الخبيثة . وان يصبح قدوة سيئة لأهله وولده في سلوك هذا الطريق المشؤوم . وفي اعرف رجلاً ابني بهذه الرذيلة فكان له في كل يوم خلية يختلف اليها . ويتفق من رزق عياله عليها . وكان له زوجة واولاد : فلم يكن امره ليخفى عليهم مهما بالغ في التكم . ولما بالغ اكبر اولاده من الرشد مال الى هذا المنكر ونما في نفسه حب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في تطلب الفيزات . وتصيبهن . والانفاق عليهن . وكيف يكون موقف الاب ازاء عمل ابنه هذا ؟ انما يقدر على كبح جماحه وارجاعه عن غيه . وانذاه بان ما هو فيه يؤدي الى تبخ الاحدوة . وضياع الشرف . وخسار الصحة . وعذاب الآخرة . فاذا نصح له ابو يمثل هذا القول ماذا يكون جواب ابنه له ياترى ؟ وفي مثل هذه القصة قال الشاعر في المثل السائر .

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
وقديماً ما تمدح العرب بالتحلى بالعفة . والابتعاد عن التلوث بفاذورة المعهر . بل تجنب كل ما يلحق بهم ريبة . او يدعو الى سوء ظنة . فكان ادمهم لا يزور امرأة جاره في غيبة زوجها انما وتكرماً .

وإذا كان جواداً مثل حاتم الطائي . وكان له جار بادي الخصاصة . احتال في إرفاد زوجته أثناء غيبته من دون أن يلم بها . أو يدخل بيتها وقد دل حاتم على خلقه هذا في قوله :

وما تشكيني جارتني غير أنني إذا غاب عنها بعلمها لأزورها
سيلغها خيرى ويرجع بعلمها إليها ولم تسبل عليّ ستورها
قوله وما (تشكيني) أي لا يمكنها أن تشكوني إلى نساء الحي فتقول : إن حاتمًا يخل
عليّ . ومنع عني معروفه . في غياب زوجي . لأنقول ذلك لما أني كنت لا أقصر في فعل
كل ما ينعم عيشها . وبكفي حاجتها . إلا الزيارة فاني كنت أدعها مدة غياب زوجها . وقوله
(سيلغها خيرى) أي يصل إليها معروف في وردي ولا أزال كذلك حتى يرجع زوجها من
دون أن ادخل خدرها . وتسبل عليّ ستورها .
وقال حاتم أيضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر
يقول أن جاري لا يضرم ناراً لنفسه وإنما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته
مما يطبخ عليها . بل أن القدر تنزل عن النار وتقدم إليه ليتناول منها حاجته قبلي
ما تصرف في جار أجاوره أن لا يكون لبابه ستر
لأبالي أن لا تكون ستارة على باب بيت جاري . وذلك لأنني عفيف العين فلا أخشى
على نفسي التطلع إلى داخل البيت . والنظر إلى النساء اللاتي فيه .
اعشوا إذا ما جارتني برزت حتى يوارى جارتني الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه إلى حاتم : فيقال له أحسنت إذ لم ترسل نظرك
إلا ثمة من خلال الستور إلى نساء جارك ولكن كيف تصنع إذا برزت الجارة من خدرها
وقمشت بين المضارب والبيوت . فقال أني إذ ذاك (اعشوا) أي أغض عيني أو أغمضهما
فلا أعود أبصرها حتى تدخل خدرها . وتنوارى فيه . واصل (العشى) مقصور منه دون
همز — أن يضعف بصر المرء فلا يعود يبصر في الليل . وإن كان بقدر على الإبصار
في النهار . والوصف منه أعشى . وبه سمي الشاعر المشهور « والناقة العشواء » التي
لا تبصر أمامها فهي تخط يديها كل شيء يعترضها . وتنسف الطرق على غير هدى .
ومنه المثل فلان يخط خط عشواء .

وقد تجوز حاتم فاستعمل « النشي » هنا بمعنى غض الدين . أو تنزير الجفن بحيث لا يعود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر .

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلاً في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء . يجدر بنا ان نحفظه . ونحتذي مثاله . فلا تعرض الى النساء الاجنبيات . ولا سارقن النظرات الخائنات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

واني لعف عن زيارة جارتني واني لمثوب الي اغتياها

(مثوب) مبغض مكروه . بقول انه يكره ان يزورها لثلاث يساء به الظن فيها . كما يكره ان يغتياها لثلاث يقال انه تنزل لمناصة النسوان .

اذا غاب عنها بعلم لم اكن لها زواراً ولم نبيع علي كلابها

« زوار » على وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهن ومجاستهن « زير » وبه سمي المهملل اخو كليب « الزير » ويقال فلان « زير نساء » اذا كان مولعاً بمجاستهن وتعبيهن

وما انا بالماري احاديث يتيها ولا عالم من أي حوك ثابها

« حوك » مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء يعمل على تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن فيدري . اذا جرى بينهما وبين جارتها او خادماتها . وماذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه . وقد يستخبر منها عن نسج ثوبها . ومن اي صنف او جنس هو . ومن اين اشترته . وعند آية خياطة خاطمه — كل هذه الاسئلة لأجل ان يكون له مادة للحديث يشغلها به حينما يزورها او يصادفها . فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلهم . فهو يتيهن من نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشغل بالنساء اشتغالهم .

ومثله في ذلك عقيل بن علفة المري الذي يقول من ابيات :

ولست بسائل جارات يتي اغياب رجالك ام حضور

(غياب) جمع غائب . وقوله (رجالك) اصله (رجالكن) باتون لان الخطاب

للجارات وعن جمع . قالوا ان هذا الخذف او الخطاب بالمفرد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لا يسألهن هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن . او انه لا يسألهن اياه ارادة الدخول عليهن . وقضاء ليلته مهن

ولست بصادق عن بيت جاري صدور العير غمره الورود
(المير) حمار الوحش . ووروده بجيئه الماء . يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه
بعد شربه منه . و (غمره) بتشديد الميم من التغمير . وهو ان يرد حمار الوحش الماء
في شرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له على الماء فيرجع نافرأ غير متلبث وبه الى
الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العوده .

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الريه . وارده كما يرد عير الوحش
منهل الماء . حتى اذا ثملت بان الجار سيف في البيت صدرت ورجعت مسرعاً كما يفعل عير
الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل مغمرأ تغميراً . وهو شديد
الظلم اليه .

ولا ملق لدي الودعات سوطي الاعبه وربته اريد
(ذو الودعات) هو الصبي الصغير الذي يعتنون عليه الودع خشية العين وميس
الجن . وقوله (ربته) تأنيث (رب) وضميره يرجع لدي الودعات . ويعني بربته امه :
لانها تربيه وتملك امره وتصلح من شأنه . حتى يبلغ كاله . والترية مأخوذة من
هذه المادة .

وقد زاد الشاعر هنا معنى لم يقله زميله الشاعر السابق : فهو يقول انه ليس بالوقع الذي
يتوصل الى مغازلة النساء ومحدثتهن بمنأاة اطفالهن وملاعبتهن . فاذا رأى طفلاً مع
امراًة حسناً او خادمة وسيمية الى طفله سوطاً او سيجته او فم سيكارته يظهر من
لفه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم . والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد
صاحبة الطفل . ويغني بها السوء .

واسلوب هذه الايات يعطي ان قالها يريد التعريض بعدو منافس له : كما انه يقول
اني لا انتزل لامثال هذه الشباكات وانما ذاك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك .
ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان التهم والامر ند يفزي به الامر

(يفزي) من غزا قصد . ومنه غزو العدو . لان الغازي يقصدهم في موضعهم .
ومنه ايضاً (مغزي) الكلام . و (مغزى) القصة اي المعنى المتصور منها . فلم
الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر . وهو تجميش المرأة
والتفكه بحسنها وجمالها . وشكلها ودلالها .

ولا اريد « الشكل » هنا الهيئة والصورة وانما هو بمعنى الفنج والدلال وشينها
تفتح وتكسر . شكلت المرأة كفرحت فهي مشكلة .
اما « التجميش » فلا ايج لتفسي التصريح باصل اشتقاقه . وانما اكنفي بتفسيره
بالمغازلة .

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من
غزل الفطن والصوف . وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم . لان الزير يجلس الى
المرأة وهي تغزل فقد يساعد بها الغزل او يحل الحيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد
ان تنسج به مثلاً ويكون الزير بصنيعه هذا كأنه شاركها في الغزل . ولذلك جاء فعله
(مغازلة) على بناء المشاركة . ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احادث اخرى يعلمها
الازيار . ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم .

وزات يحب الزنا مغرم اماط راءه الحيا واطرح
يقبل اولادهن الصفا رومن عشى الدن باس القندح
المغربي

اخبار وافكار

الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناشئة الامة وبث روح
العلم والفضيلة في النفوس واهمها فيما نرى جمعية مآثر التربية والمقاصد الخيرية في بيروت
والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية
في تونس . وامامنا الآن الخطاب السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي
لانتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لا تسمو كلمة الامة
ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا
تألفت في العالم ائمة الشراكات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً
واحساساً . فرغبة في الحصول على هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية
فوقفوا لتأسيس الجمعية الخلدونية العلمية التي مضى عليها الآن مدة تاليف اربعة عشر
سنة لم تزل في عضونها دائمة على القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم

العصرية بين الشبيبة التونسية عامة والامدة الجامع الاعظم خاصة لاعتبار هذا المعهد العلمي كقصر للكلية الزيتونية .

ومع قيامها بذلك الوظيفة السامية لم تزل ايضا تبحث عن الوسائل الموصلة لاستكمال ذلك وترتب الدروس في الفنون غير المزاولة بالجامع الاعظم زيادة على التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة من بقية العلوم الرياضية والطبيعية التي لا يحسن الجهل بها في الاوقات الحالية

وقال : ان مادة بقاء الجمعية هي عائلة المشتركين من ذوي الغيرة والمروءة الذين قدروا المشروع حق قدره واستمروا على مساعدته بالهم وعلمهم . وعناية اعضاء لجنة ادارتها ورؤسائها الفضلاء السابقين الذين يحق للجمعية ان تفخر بمجزمهم وسعيهم في ترقية الجمعية وتسييرها من ارقى الجمعيات العلمية في شمالي افريقية وخص من بينهم بالذكر سيدي محمد الاصرم الذي بذل جهده في هذا السبيل واتفق وقتا ثميناً من حياته لتحصين تراتيبها واساليب تعليمها . ثم اهتمام السادة المدرسين الذين قاموا بما نيظ بهم احسن قيام وساعدوا الجمعية على نشر العلوم التي كانت مفقودة في تونس وترجمتها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ونذكر في مقدمتهم سيدي البشير صفر والسيد حسن عبد الوهاب والسيد صادق الثلاثي والسيد عبد الرزاق الغطاس وغيرهم .

وقال : ان اهم نتيجة لعمل اللجنة في السنة السالفة مضاعفة الاعانة المالية المخصصة للجمعية من ادارة الاوقاف وماقررت بموافقة الجلسة العامة من تغيير مدة التعليم وتسييرها عامين بعد ان كانت عاماً واحداً حرصاً على ان يكون المتخرجون من مدرسة الجمعية اكثر علماً واوفر استعداداً لتلقي الدروس العالية او مباشرة الخدم المعاشية ومن تنظيم نظام التعليم بما يشمل بعض فنون عصرية كالحكمة والكيمياء وحياة الحيوان والانشاء العربي ومبادئ اللغة الفرنسية الخ .

هذا ما ورد في خطاب الرئيس ولعل بعض قرائنا يودون الاطلاع على الغرض الحقيقي من تأسيس هذه الجمعية الراقية فنقول لم نقلاً عن تقريرها سنة ١٩٠٦ وهو يصدر باللغة الافرنسية ان اول من اقترح تأسيسها الميوريلي المحقق العسكري بالمقيم العام في تونس وكان من المتبحرين في المسائل الاسلامية والواقفين على حركة النهضة المصرية فوقع في نفسه ان في مكنة شبان تونس المتعلمين في المدارس الفرنسية ان ينشروا في القطار التونسي الاساليب الحديثة المتبعة في بعض بلاد الشرق ويصلحوا جامع

الزينة على ما يناسب حال النهضة العلمية الحديثة فاذا صلحت حال هذا الجامع الاعظم يصبح كما كان مبعثاً للنور في العالم الاسلامي ولاسيما في شمالي افريقية . وهكذا سعى الى تأسيس هذه الجمعية لانقاذها زمرة من الفضلاء والمتكبرين ودفعوها بالخلدونية نسبة الى ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الذي وضع في مقدمته اصول التعليم والاصلاح العلمي . ومن نظامها فتح دروس والتقاء محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الافرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والطبيعة والكيمياء خاصة وان تسهل على من فيهم استعداد لسلوك سبل الارتقاء في العلم وتزج على احداث خزائن كتب وان تنشي مجلة بالربية والافرنسية تعرف العرب بالمدنية الفرنسية والغربية بالخرصة العربية

وبعد تأسيسها بمدة اعطيت مدرسة من المدارس القديمة جعلتها محلاً لصفوفها ومساكنها ومكتبتها التي كانت تحتوي سنة ١٩٠٦ على ٦٩٠ مصنف بالربية والافرنسية وقعت في ١١٥٣ مجلداً وفيها الامهات الممتعة ولاسيما ما يتعلق بتاريخ تونس وعمرانها ومدنية الاسلام

وقد لني هذا المشروع . ما كسبت قوية بادي . بدو وكثرت فيه الطنون والتخرصات على نحو ما بالي في العادة كل مشروع في الشرق ولكن عرف القوم بعد حين سلامة قصد القائمين وسكنت اللسان عن تناول الخلدونيين بسوء خصوصاً لما يرون من حماية سمو الباي والدولة المستمرة لجمعيتهم ولان التخرجين في مدرستها اذا كانت بايديهم شهادة يفضلون على غيرهم في الوظائف

والدروس والمحاضرات التي تلت في تلك المدرسة هي الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء . وقد اقاموا محملاً كيمياوياً في مكتبة المدرسة يطبقوا العلم على العمل ثم اضافوا الى هذه الدروس علم المساحة وروم الاراضي (الطبوغرافيا) والرمم والجبر . وام مائدور عليه المحاضرات تدبير الصحة العلمية والتنظيم القضائي سيفي تونس وقانون العقارات وعلم الحقوق الاسلامي والفرنسوي والاقتصاد السياسي والاقتصاد الزراعي يلقيها في الغالب اعضاء الجمعية وفيهم العلماء والكتابون والباحثون باللغة العربية وكان المستمعون قلائل جداً بادي الرأي فلما ثبتت الجمعية ارتقوا من العشرات الى المئة والمئتين وكانت واردات الجمعية سنة ١٩٠٦ - ٦٨٨٩ فرنكاً ونفقاتها كذلك ولا شك انها زادت الآن بحسب حاجة العصر وارتقاء مدارك اهله . وقد انتخب لرئاسة الخلدونيين هذه السنة السيد عبد الجليل الراوش من علماء تونس وارباب الافكار فيها .

الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر

بلغ مجموع ايراد هذه الجمعية الخيرية في سنة ١٩١٠ - ٢٢٣٤٠ جنيهًا و ٧٦ مليا منها ٩٩٧ ج و ٢٠٠ م اشتراكات و ٧١٧٢ ج و ٢٢٥ م ايجار اطيان و ٢٩١٧ ج و ٨٩١ م للاحتفال السنوي منه مبلغ ٢٢٣٧ ج و ٣٧٦ م لسنة ١٩٠٩ و ٥٢٤ ج و ٦٧٢ م تبرعات و ٢٠٣ ج ايجار مباني الجمعية ببني مزار وطنطا و ٧٥ ج مرتبات خيرية وجنيه ومائة مليم ايرادات متنوعة عمومية و ٦٧٧٣ ج و ٥٠٠ م اجور تعليم و ١٣٧٨ ج و ٥٦١ م ثمن كتب وأدوات مبيعة و ٤٥٠ م اج مرتبات خيرية و ٨٢ ج و ٣٧٥ م ايراد وقف المرحوم احمد افندي شاكرو و ٦٦٣ ج و ٧٨٠ م تبرعات و ٤٥ ج جائزنا المرحوم علي باشا مبارك وحفصة عبد الرحمن بك رضا ٥٥ ج و ٧٦٥ مليا و ١٠٠ ج اجمالي المصروفات ١٨٥٥٢ ج و ٦٤٨ م و بلغ الباقي بعد نفقات سنة ١٩١٠ وهي نفقات التعليم والاعانة والصدقة الخ خصوصية والنفقات العامة ١٠٣٤ جنيهًا و ٣٢٨ مليا

التعليم الديني

نشر المسيو كومباري من علماء الفرنسيين مقالة في مجلة المجلات الباريزية بشأن التعليم الديني (العلماني) في فرنسا وحاضره ومستقبله جاء فيها ان حكومة الجمهورية تصرف كل سنة ١٢٠ مليون فرنك على المعلمين والمعلمات عدا ما تنفقه على بناء البيوت لمعلمي المدارس ومعلماتها وان عددهم يبلغ ٥٣٢٧٦ معلماً و ٥٩٣١٥ معلمة بحسب احصاء سنة ١٩٠٥ يخرجون ويخرجون من ١٧٥ داراً للمعلمين يتقنون فيها ما يلزمهم تخرج الصبيان والبنات وكان عدد المتعلمين سنة ١٩٠٧ في مدارس الحكومة الدينية ٤٦٥٤٢٦٣١ فتي وفتاة ماعدا ٥٣٢٩٤٧ ولداً في مدارس الامة العامة و ٨١١٢٣١ تلميذاً في المدارس الخاصة و ٢٢٨٢١٣ في مدارس الرهبان وهكذا زادت فرنسا مدارسها في الثلاثين سنة الاخيرة فكثرت فيها كما كثرت كنائسها في القرون الوسطى وانتشرت المدارس حتى في القرى البعيدة فكان عدد مدارس القرى او مدارس الشعب سنة ١٨٤٣ - ٣٨٠٠ مدرسة فاصبحت سنة ١٩٠٧ - ٦٨١٢٨ مدرسة

ومع ما بذل من العناية لم توفق فرنسا الى اخراج الامة كلها من ظلمات الامية فكان عدد الاميين من الجنود الذين كانوا تحت السلاح سنة ١٩٠٨ - ٩٨٥٣ لا يقرأون ولا يكتبون و ٤١٧٥ يتراؤن فقط على حين كان في الجند العامل سنة ١٨٧٢ - ٥٦٠٠٠ أمي وفرنسا مع كل ذلك لم تبلغ مبلغ جاراتها في قلة عدد الاميين في ابدانها فان سب

الجيش السويسري العامل وقدره ٢٨ ألفاً عشرين أمة فقط وفي الجيش الألماني واحد في الألف يعد في الألمان والسبب في كثرة الألمان في فرنسا بالنسبة لغيرها جمل بعض الآباء وأعمال الأولاد على كثرة تشديد المعارف والبلديات على أولياء الأولاد الذين يهملون إرسال أولادهم إلى المدارس الابتدائية يتعلمون ثلاث سنين ما يخرجهم عن حد الأمية والسبب الاجتماعي الذي يدعو في الغالب إلى تخلف الأولاد عن دخول المدارس قلة ذات أبدي آبائهم فلا يستطيعون أن يظهروا في بزة تناسب حالهم بين أترابهم ولكن الحكومة تداركت الأمر وانشأت منذ مدة صناديق للمدارس يضع فيها المحسنون صدقاتهم ومنها تنفق على الأولاد المحاويج ما يلزمهم من كسوة وطعام مغذ في الشتاء ولكن لم تدم هذه الطريقة اقطار فرنسا كلها وبلغ عدد الصناديق المدرسية ١٧ ألف صندوق ٣٧١ ألف مديرية او مقاطعة

وبعد أن قال أن الفقر هو من الدواعي الكبرى التي تعول بين أولاد الفلاحين والاختلاف إلى المدارس ذكر أن بعض الذكور يحتاجون أن يعملوا ليطعموا بعض أسرهم ومن الإناث من يقمن على تربية أخواتهن وأخوتهن مدة تغيب والدتهن في الحقول وأن أولاد الفلاحين ينقطعون عن المدرسة لأنك تراهم معظم السنة يشتغلون بحش الحشيش أو الزرع أو الحصاد أو قطف الكروم

ومن أعظم ما يعول دون تعميم المدارس الدينيوية طغمة رجال الدين فانهم حرموا في فرنسا من يختلف إلى مدارس الحكومة لأنها لا تعلم الدين وطردهوا أولاداً لم يرقهم أمرهم ومنعوا تلاوة كتب لم تؤلف على هوامم فالتعليم الديني لم يفتح على ما يجب بعد تضعف الوازع الأخلاقي ولأنه من الصعب أن تعلم أمة بأسرها تعاليم العقل وتطبق نفسها على نظامه واشرب التعليم الأخلاقي الآن لفتيان صغار في عقولهم لا يتأتى لهم أن يقدروا نتائجها حق قدرها

ومن الطرق التي ارتآها بعض الاسانذة في اصلاح هذا الحال أن يعلم الكبار الذين لم يسعدهم الحظ بدخول المدرسة في صغرهم كما تفعل ألمانيا في تعليم جندها الأمي حتى يكون القرن العشرون قرن العناية بالشبان كما كان القرن التاسع عشر عصر العطف على الأطفال .

ويرون أن خطط الدروس الابتدائية كثيرة المواد يختلط بها ذهن التلميذ فالأولى الأقلال منها ما أمكن وطبع صورة اجمالية في ذهن التلميذ تعدد فقط لمبادئ طليقة

لا يعب بها ذهنه وتكون برزخاً له الى الانتقال الى تعلم الصناعات المفيدة او التعليم الثانوي فالعالي

وقد نصح الكتاب للاستاذة ان لا يدنلوا غمار السياسة ولا يسمعوا لكلام من ساءهم فصل الحكومة عن الكنيسة ويطمحون الى ان ترفع الحكومة يدها من التعليم وتمنح المعارف استقلالاً حتى تكون الامة مباشرة يريدون بذلك ان يجعلوا حكومة سيف حكومة فقال لهم ما قاله جول فري مؤسس التعليم الديني لبعض الاساتذة « اياكم ان تأملوا ان يكون منكم رجال سياسة تغير لكم ان تنشئوا عشرين وطنياً صالحاً من ان تساعدوا على انتخاب نائب في مجلس الامة ».

وليس معنى المدارس الديوية انها ضد الاديان بل معناه انها على الحيدة لا يجب القائلون باسم الامة ان يلقى العلم في المدرسة رأياً خاصاً له او رأياً من الآراء التي تروج في الشوارع والازقة بل تريده على ان يترك من وكل اليه تعليمهم ان يفكروا كما يشاؤون فاذا خالف ذلك واورد لهم مبدأً دينياً يخون وطنه وامته فالمدارس الديوية ليست مدارس الحاد فاذا كانت لا يذكر فيها اسم الله فليس الغرض منها انها تخالف الله .

البعثة العلمانية

اصدرت البعثة العلمانية او الديوية في بيروت مجلة يكون لسان حالها باللغات الثلاث العربية والتركية والفرنسية سميتها « الرابطة » وكل قسم من اقسامها منفصل عن الآخر فقرأنا فيها مطالب هذه البعثة في الشرق وقد أسست لتنفيذها مدارس في القاهرة والاسكندرية وسانتيك وبيروت وغيرها من البلاد والخواصر . وهي ترجوان « نعدد في هذه البلاد التي فرقها التعصب دهرأ طويلاً المدارس العلمانية مدارس التساهل والاتحاد والسلم التي يجتمع على مقاعدها الموسوي والعيسوي والمحمدي جنباً الى جنب فيتعلمون كيف يجب بعضهم بعضاً وكيف يحترم بعضهم دين بعض وشر بعة بعض فلا يكونون من بعد اعداء يباغض بعضهم بعضاً ويخادع بعضهم بعضاً ويتضارسون !؟

وقد جاء في هذه النشرة ان البعثة العلمانية الافرنسية أنشئت لتشر التعليم اللاديني في غير فرنسا سنة ١٩٠٢ وعدد اعضائها من الفرنسيس اليوم نحو عشرة آلاف يقسمون الى عدة فروع منهم من يدفع فرتكين في السنة ومنهم من يدفع خمسة ومنهم من يدفع عشرة ومنهم عشرين والغرض من ذلك بث التساهل لالاطن بالاديان وتعلم الحضارة الافرنسية والحضارة الشرقية بحسب حالة البلاد وان عملها انساني تقصد به تحسين حالة

الناشئة في الماديات والمعنويات وتكامل الانسانية في العقول والاجتماعيات. وذكرت كلاماً للفيلسوف ادغار كينيه (١٨٠٣ - ١٨٧٤) احد المبشرين الاول بالتعليم العلماني قال في الجمعية العلمانية: انها تعيش بمبدأ حب الوطنيين بعضهم بعضاً بتقطع النظر عن معتقداتهم فحسب ان تكون كما قال وأكدته مئات بعده من انصار الجمهورية واحباب الاستعمار وبث الافكار

فلسفة اديسون

خالف هذه المرة اديسون الاميركاني مخترع الكهربائية جميع الفلاسفة الالهيين في الاعتقاد بخلود النفس فصرح ولم يجمعهم باعتقاده انادي وانكر الخلود محاولاً ان يورد حجة على دعواه في حوار له مع احدهم فقال: ليس الانسان انساناً بذاته بل هو بالخلايا التي فيه فالدماع الانساني هو كآلة فلا سبيل لنا من ثم الى الاعتقاد بخلود الروح كما لا سبيل الى الاعتقاد بخلود اسطوانة من اسطوانات آلي الفونوغرافية على اننا لم نجد حتى الآن احداً قال بخلود الاسطوانة فلماذا نمال بها للادمة او للقوة التي فيها . لاجرم ان ذلك ناشئ من كوننا لانعرف هذه القوة التي نعتقد بخلودها اذا قلنا بان الكهرباء خالدة ايضاً لانها قوة نهملها.

هذا ما قاله الفيلسوف بالحرف وقد احدثت تصريحاته اضطراباً شديداً في الولايات المتحدة وانطلقت اللسان في شرح اقواله في الاندية وقد صرح اديسون في خلال مقالته ان خصومه يعثرون على حجج قوية مدعاه في كتاب من تأليف الدكتور طومسون اسمه « الدماغ والشخصية » الا ان مصنف هذا الكتاب نفسه سئل عن رأيه في هذا الشأن فأجاب جواباً لم يكن ينتظر منه فقال ان آراء اديسون مخالفة للعلم فالامة التي لا تعتقد بخلود النفس يخل امرها وقد رد بعض القسيسين على اديسون في معنى الخلود بقولهم اذا كان الانسان كما يدعي اديسون مجموع مواد مختلفة متلاحمة من الخلايا فلا يكون اديسون مخترع الفونوغراف بل مجموع خلايا فقط .

الفقراء في المانيا

نشأ عن كثرة الولادات وقلة الوفيات في المانيا ان كانت هذه الامبراطورية سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً فاصبحت الآن اربعة وستين مليوناً وتزيد الولادات عن الوفيات تسعمائة الف في السنة ولذلك ترى الفقراء كثيراً فيها وكذلك الاثرا يكون لان معامل البلاد وصناعاتها وزراعتها لا تعمل سوى اربعين مليوناً فقط ولذا يتوسل الالمان بجميع

ما لهم من الاسباب ان يفللوا من الشقاء في المدن والقرى فما تقوم به المانيا في برلين مثلاً لتخفيف شقاء الفقراء انها افتتحت اربعة اسواق لاتباع فيها الحبوب الا من الفقراء ويحظر رجال الشرطة والسحة دخولها على غيرهم من اهل السعة . والسبب في هذا الحظر هو ان الحبوب كلها سواء كانت لم يقر او عجل او خروف او خنزير لا تخلو من شبهة ولذلك لا يسمح ببيعها من الفقراء الا اذا جعلت في معمل كياوي يعقمها التعقيم العلمي فيقتل منها الجراثيم الضارة . وهذه الرخصة بالساح ببيع الحبوب الملوثة قد لا يسمح بها في البلاد الراقية ولكن الالمان بالعلم افسموا ان ينفعوا حتى مما يضر ولا يضر حون شيئاً مهما بلغ من نفعاته وبذلك ينفع جماهير الخوايج بشاؤل الحبوب اللازمة لهم في جهاد الحياة هناك

تدلم اللغات

اقرب طريقة لدرس لغة من اللغات ان يتلغها الطالب من افواه ابنائها او ممن يحسنها كاحدهم ولما كان هذا متعذراً على بعض الاشخاص ممن لم يسعهم الحظ بوجود معلم ليدرهم اللغة التي يطلبونها في بلدهم اخترع احد الاميركيين آلة على نسق الخاكي يستطيع ان يدرس ابن اميركا اللغة الافرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية بواسطتها مع قليل من الكتب دون ان يتكبد نفقات الاستاذ او غناء السفر الى تلك البلاد ليدرسل لغاتها

اصل التصوير الشمسي

اخترع روجر باكون سنة ١٢٩٧ م الغرفة السوداء المستعملة للتصوير الشمسي وسيف سنة ١٥٥٦ لاحظ بعض الكياويين تأثير النور في الفضة وقام برونام بعد حين وادعى امكان حصول التأثير في العاج الحساس وذلك بمحلول الفضة .

والذي اخترع اكتشاف التصوير الشمسي في الحقيقة هما رجلان فرنسيان اسمهما نيس وداكر ونالا جائزة من حكومة فرنسا جزاء نشرهما طريقتيهما واقدم الصور الفوتوغرافية محفوظ في متحف شالون سورسون في فرنسا مسقط رأس نيس وكانت دوروتي دراير اول شخص رسم بالتصوير الشمسي وكذلك شقيقه رسم سنة ١٨٢٩ . وظل التصوير الشمسي يرنقي الى ايامنا هذه حتى اعلنوا مؤخراً اختراع طريقتين جديدتين للتصوير البارز الناقى وهاتهما نجحتنا واعلوا خبر اختراع التصوير الملون وهكذا لا ينتهي الاكتشاف والاختراع مادام العقل البشري يعمل ويفكر

اسباب الهجرة النبوية^(١)

ايها السادة

كلني اليكم اليوم في اسباب الهجرة النبوية ونتائجها الادبية
تعلون ان كل مصالح قام في العالم سواء كان من الانبياء الكرام او العلماء الاعلام
ناله من قومه اضطهاد ولاقت دعوته في بادئ الامر صداً واعراضاً وانكسب الالهية
والتوارىخ الاجتماعية شاهد حق على ما نقول

ان امام المصلحين وخاتم النبيين الذي نحتفل بعيد هجرته الشريفة اليوم لاقى كذلك
فوق ما يلاقيه كل مصلح للهيئة الاجتماعية وعانى من اهل الحسد والبغضاء من بني عمه
وغيرهم مالم يماز، نبي من قبل ومع هذا فقد كان منذ بعث الى ان هاجر صابراً على الاذى
لا يفتأ يدعو قومه الى الاسلام ويعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج ويدعوهم
الى دينه وحمانيته من حسد قومه ليتمكن بعد المنعة من بث الدعوة ونشر دين الهدى
والحق ووضع قواعد التبرقي الاجتماعي على اساس مكين

لكن الذين يريدون الحقيقة لنفسها وبقبول الحق لانه حق قليلون في البشر لاسيما
في ذلك العصر وفي قوم حالم من الجهالة معروف لذا لم تصادف دعوته قبولاً الا من
جماعة قليلين من قريش وغيرهم الا انه كان فيمن اتبعه من قريش نفر من وجوههم
واهل المكانة والعقل فيهم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن
ابي طالب واشباههم من السابقين الاولين وصناديد قريش الذين ايدوا الدعوة المحمدية
ورفعوا بعد ذلك شأن الامة العربية بل شأن الشرق كله على وجه بهر انظار العالم وقلب
نظام الاجتماع في كثير من انحاء الارض على ما تعلمون

كان في اسلام هؤلاء ما يكفي ان يثير غيظ قريش وغضبهم وخوفهم على اولئانهم
فاشتدوا في اضطهاد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فأجأوه في نهاية الامر للهجرة الى
المدينة مع ذلك التفر من المؤمنين .

وذلك بعد ان دعا جماعة من الاوس والخزرج من سكان المدينة الى الاسلام في
احد المواسم سنة عشر للبعثة وجاءه في السنة التالية والتي بعدها جماعة منهم ببيعة قومه
فابعوه بيعة العقبة الثالثة وقيل هي الثانية واستوثق له منهم عمه العباس بن عبد المطلب

(١) خبطة لوفيق بك العظم القاها في حفلة الاحتفال برأس السنة الهجرية

في القاهرة

فأفسموا على نصرته وعاهدوه على تأييد دعوته ثم نصروه بالقول والفعل وصبروا بعد ذلك
انصارا ونعم هذا الامم وحيداً الفخر بنصرة الحق والحقيقة والعدل

امر بعد ذلك اصحابه بالمهجرة الى المدينة فأخذوا مهاجرون ارسالا اسية جماعات
مستخفين الا بطل قريش واشيخ شجعانهم الجاهل بدعوة الحق رغما عن انوف المكابرين
نحرا الامة الاسلامية بل نحر التاريخ عامة عمر بن الخطاب فانه اعلن هجرته وخرج مهاجراً
على ملاء جبابة قريش فلم يسعهم منعه او الوصول اليه بسوء

اتصل بعد ذلك بالنبي خبر تأمر قريش على قتله فالتقى مع صاحبه ابي بكر على
الخروج في نفس تلك الليلة التي عذبها قتله وترك على فراشه علياً ابن عمه وخرج والقوم
يرصدونه فراغت ابصارهم عنه واتقده الله منهم رحمة بالانسانية واتناذراً لكثير من الامم
من ظلمات الشرور

وكان خروجهم عليه السلام في مثل هذا اليوم المبارك ومن جميل الصادقات انه كان
يوم الاثنين كيومنا هذا الذي تحتفل فيه وذلك سنة ثلاث عشرة اربعة فسلخه الله
وصاحبه من كيدهم وبلغ مأمنه بسلام في قصة طويلة معروفة في التاريخ
هذه اسباب الهجرة فما هي نتائجها الادبية ؟

عجيب ايها السادة امر هذا الانسان القوي الضعيف بينا يتطال احبانا الى ان يتناول
بمداركة كل ماتحت السماء ينحط حيناً آخر الى حضيض الغبراء - فحمد صلى الله عليه
وسلم انما كان يريد حياة هؤلاء القوم ولكثرتهم كانوا يريدون قتله فما هذا التباين العظيم
وكيف بلغت بهم قوة التمييز من الضعف هذا الحد ؟

اريد حياته ويريد قتلي ولو علم الحقيقة ما اراد

نعم جهلوا حقيقة النبي لا لتقص في ذكائهم الفطري واستمدادهم لقبول الفضيلة لان
ماظهر منهم بعد بضع سنين من ذلك التاريخ يؤيد انهم كانوا اذكى الشعوب واعظمها
قابلية للخير والفضيلة لكن الانصراف الى عبادة الاوثان بدعو من طبعه الى الانصراف
عن التفكير في خالق الوجود ويوجد الكمال في الطبيعة فيقف بالفكر عند حد محدود
من التصور ويصد عنه درك كثير من الحقائق عند عرضها عليه او مفاجاته بما لم
يألفه منها وهكذا كانت شأن قريش والعرب عامة مع النبي صلى الله عليه وسلم سيف
بادي الامر

ولقد تحققت بعد لقائهم وللغرب والناس كافة ان سلامة النبي من غائلة قريش

في ذلك اليوم واستقرار الدعوة في مدينة يثرب هو مبدأ سعادة قريش انفسها وسعادة
 مئات الملايين من البشر ونهاية النقاء. سيث قسم عظيم من الارض على عبادة الالهة
 وتكلى سلطة افراد من سدنة الهياكل وكهنتها، سلطة لا احد لها لا تكلى النفوس فقط
 بل تكلى الضمائر والعقول ايضا. انقول على الضمائر والعقول لان احتكار العلم الذي يراد
 به احتكار السيادة الدينية ما عرف الا بين جدران الهياكل حيث كانت نعيم طائفة من
 الناس تزعم انها وارثة ايزيس واوزيريس وبعل وجوبيتر واللات والعزى وما لا يعد من
 الالهة تسحر هذه الطائفة بما احتكرته من العلم عقول الشعب فتقوده حيث تشاء. ولا تعطيه
 منه الا بمقدار ما يستطيع مئات الالوف من البشر ان يتنوا هيكلًا للشمس او قبرا لآل
 الشمس مكرهين مستخرين

ان اطلال تلك الهياكل النخبة وبقايا تلك القبور المائلة المائلة الى اليوم تدل على
 ان ذلك النور الضئيل الذي كان ينبعث من وراء جدران الهياكل انما كان من اجل
 الهياكل لا من اجل الشعب ولا يبالغ ان قلت ان بعض المذنبات القديمة الامم البائدة
 احرم بها ان تسمى مدن الهياكل بفضل اولئك السدنة الذين كانوا يحبسون عن العقول
 نور العلم الصحيح ونور الحقيقة الالهية استعدادا للنفوس والارواح. وقد اخبرتنا الكتب
 المقدسة واخبرنا التاريخ من احاديث اولئك الطائفة من الناس بما يغني عن طول الشرح
 هذا هو السر في أن قريشاً وهي سدنة البيت العتيق اهتزت اعصابها واستشعرت
 الخطر على سيادتها الدينية لاول دعاء دعا به النبي وهو التوحيد اي قول لا اله الا الله
 ولا عبودية لاحد سواه. فآظفروا له العداوة والبغضاء وما زالوا به حتى الجأوه واتباعه
 الى الهجرة عنهم ولو علموا ان هذه الدعوة محبوذ لم تحتها فوق ما يزعمون من السيادة
 الوهمية وهي سيادة العلم والمدنية والسلطان العظيم في الارض بما سيكون اليهم من ميراث
 الامم لما فعلوا معه ما فعلوه ولكن اكثر الناس اعداء ما جعلوه

ومعها كان الحال فقد كانت هجرته الشريفة خيراً لقريش وللعرب والانسانية جمعاء
 اذ تمكن بعد امتناعه بالانصار من جمع كلمة العرب ووضع قواعد شريعته الغراء التي
 قدمت قيود عبودية البشر للبشر وفتحت للعقل مجال النفاذ في الكائنات فجعلت العلم
 مشاعاً بين بني الانسان من كل الطبقات فتدبت عامة الناس الى تعلم الم وتعلم اللغات
 والاستفادة من نواميس الكون وأسرار الطبيعة وجعلت قاعده التفاضل بين المسلمين
 التقوى والعلم فلا يفضل عالم جاهلاً الا بعلمه ولا يفضل نقي شقياً الا بعمله

فكان من هذا نذير عظيم بالتبدل العتيد لشكل المدنية القديمة والعلم الناقص انتفض له جسم الانسانية الهامد تحت ضغط الخرافات الوثنية التي شبت بها علوم الاقدمين ونشطت الذنوس الى تناول حقاها الطبيعي من هذا الوجود بما قرره الاسلام من مبادئ الاشتراكية العامة الصحيحة التي مبناها ان العقل رأس مال كل فرد فمن حق كل فرد ان يتناول من العلم ما استطاع ليتساوى مع اخيه في الاشتراك بمرافق الحياة

وهذا هو السر في ان المدنية العربية كانت ارقى مدنية سبقتها وان العرب فعلوا في قرنين مالم يفعله غيرهم في قرون وكانوا اسرع الامم سيرة في سبيل المدنية وبسطا في الحضارة فما لبثوا بفضل الاسلام جيلا وبعض جيل آخر حتى نشروا سيادتهم ودينهم ولغتهم في احسن اجزاء المعمور ولما توطلدت لهم دعائم الملك على عهد الدولتين دولة الخلفاء الراشدين ودولة الامويين وقبضوا على زمام السيادة السياسية في معظم الممالك القديمة صرفوا عنايتهم للاخذ بأزمة السيادة العلمية فلم يكفهم ما كتبوه واشتغلوا به من علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ وسائر فنون العربية بل اهتموا بترجمة كتب اليونان في الفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة وغيرها فكان اهتمام عامتهم ينقل هذه العلوم الى اللغة العربية كاهتمام خاصتهم وخلفائهم ووزرائهم فكلما كان الخليفة المأمون يعطي حنين بن اسحاق المترجم عن كل كتاب ينقله الى العربية زنته ذهباً مثلاً بمثل ما كان بنو موسى بن شاكر الهندسون وهم من عامة الشعب يعطونه كل شهر خمسمائة دينار من اجل الترجمة هذا فضلا عما كانوا ينفقونه من الاموال على الكتب التي كانوا ينفذون في طلبها من بلاد الروم والاصقاع البعيدة بالثمن الباهظ

وكما كان كذلك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ينفق على المترجمين من ماله الخاص نحو الذي دينار في الشهر وكثيرون غيره هؤلاء من الخلفاء والوزراء والعلماء من كانوا ينفقون على استحضار كتب العلم وترجمتها

لم يتف بهم الامر عند هذا الحد من تعلم العلم وتعليمه ونشره عملا باوامر صاحب الحجة وواضع اساس المدنية الصحيحة عليه الصلاة والسلام بل عمدوا الى تأسيس المدارس فأنشأ العباسيون اول كلية جامعة في بغداد على عهد الرشيد والمأمون سميت دار الحكمة وكانت تدرس فيها سائر العلوم الحكيمة كالفلسفة والطب والكيمياء والهندسة والفلك وغيره ثم المدرسة النظامية ثم المستنصرية في بغداد ايضا وحذا حذوهم في ذلك الاءيون في الاندلس والناطليون في مصر حتى وصلوا سلسلة المدنية المتقطعة من عهد سقوط

دولة الرومان بحلقة من المدنية العربية كان لها الفضل العظيم على العالم المتقدم لهذا العهد لانها كانت الصلة المتممة لترقي الانسان وترقي المدنية بما مهدته علماء اوربا من سبل المدنية الحديثة عجيب امر هذه الامة ايها السادة ولقد يكاد يظن القاري لاخبارها ان رقيها السريع من الخوارق وما هو كذلك بل هو نتيجة الافراج عن العلم واخراجه من بين اسوار الهياكل وجعله مشاعاً مشتركاً بين الناس يتناول عقل كل فرد نصيبه منه ورحقه ان يتناول ذلك مادام العلم ثمرة من ثمرات العقل

عرف المسلمون في ابان مجدهم ومدنيتهم هذه القاعدة وحرسوا على مبادئ الاشتراكية العامة فلما لا يكون العلم محتكراً لطائفة او قاصراً على فريق دون فريق تغالوا في انشاء المدارس المتنوعة بتنوع المشارب والعلوم تفانياً لم تجارهم فيه امة من قبل فجعلوا مدارس لثاني علم الحديث سموها دور الحديث ومدارس لفروع الشريعة كى عدد المذاهب فمدارس الشافعية وغير مدارس الحنفية ومدارس المالكية وغير مدارس الخنابلة ثم مدارس الحكمة التي يدرس فيها الطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغيره من العلوم الحكيمية وكانت اكثر هذه المدارس داخلية ذات غرف يأوي اليها الطلبة ولم يكن التعليم فيها مجانياً فقط بل كان للطلبة فوق ذلك جرايات ومراتب تغنيهم عن العمل لغير العلم

ومن ادلة تعالى هذه الامة في انشاء امثال هذه المدارس كتاب خطي موجود في مكتبتي اليوم في نحو الف صفحة وهو خاص بمدارس دمشق وحدها من القرن الخامس الى التاسع وفيه تاريخ مائتي مدرسة او تزيد على ذلك منها ثلاث مدارس طبية أنشئت في عصر واحد في مدينة واحدة من المدن الكبرى الاسلامية فما بالك ايها السادة بتغيرها من المدائن الشهيرة التي كانت مراكز الحضارة الاسلامية كحلب والموصل وبغداد ومصر قند والقاهرة ولونس ومراكش وخليطة واشبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الشهيرة التي كانت تفيض انوار العلم والمدنية على الشرق والغرب

اما تأثير هذه المدارس وعلوم العرب وآدابهم التي كانت تدرس فيها في اهل الغرب وعلوم المدنية الحديثة فما لا يتسع لذكره هذا المقام ويكفي فيه شهادة علماء الافرنج انفسهم فاذا سمعتم لي اتلو عليكم شيئاً من شهادة عالم محقق كبير من علماء اوربا فيما العرب من الفضل على المدنية وهو العلامة سديو صاحب تاريخ العرب

قال هذا النصف المحقق في مقدمة كتابه المذكور بعد ان اثبت على اخلاق نبينا وعمله الجليل في جمع كلمة العرب :

« واما توارىخ الخلفاء الراشدين وكذا الاموية في دمشق وقرطبة والعباسية في بغداد والفاطمية في مصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية التي اغار عليها المغول قدونها الافرنج ندوبنا حسنا واضفنا اليها ما تركوه من اصولها وهو وصف المدنية العربية التي تمكنت اصولها في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن ولا تزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادي ما نحن عليه من المعارف الاوربية فان العرب في غاية القرن الثامن من الميلاد تركوا صفاتهم الحرية وشغفوا بنيل المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة ومليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والزقة واصفهان وسمرقند تفاهر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرئ ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همهم في الاشتغال بجميع ما اشكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون . وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من اوربا ابتكارات تدل على انهم اُتُمنا في المعارف

ولنا شاهداً صدق على علو شأنهم الذي يجمله الافرنج من ازمان مديدة الاول ما اُثر عنهم من توارىخ القرون المتوسطة واخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة . والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء . الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التي مارسوها بناية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد اي من القرن الثالث الى القرن العاشر الهجري »

الى ان قال بعد تخطئة بعض علماء الافرنج الذين قالوا ان الهنود والصينيين اقدم من العرب :

« واما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم التمدنية في الفترة التي بين عصر بونان الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ اهل اوربا من رقدة الجهالة ونشر اتوار المعارف في جميع ممالك آسيا »

وبعد ان ذكر كيفية انتقال العلوم من العرب او بواسطتهم الى ممالك آسيا . الصين . الهند . والتركستان وغيرها قال :

« ثم اطلع اهل الغرب من اوربا على اسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية المدنية واللغة العربية وفنونها الادبية التي اخذت كل يوم

في زيادة الانتشار بين الافرنج ومازلنا الى الآن نستكشف اموراً مهمة (يريد من القضايا العلمية) من الكتب العربية القديمة وان عزي ابتكارها زوراً الى بعض المتأخرين من الافرنج

هذه شهادة عالم اجنبي عن اوطاننا ولغتنا وديننا تشعر ان المدنية العربية وآدابها عمت منافعها الشرق والغرب وان العرب كانوا اساتذة العالم بلا نزاع وبالتالي كان لهم الفضل على العالم اجمع وقد شهد كثير من علماء اوربا ومحققها مثل هذه الشهادة كالعلم دسامي والعالم دربي والعالم كوستاف لبون وغيرهم ولمن كان الفضل في هذا كله ؟ كان لصاحب الشريعة الاسلامية الذي نحتفل بعيد هجرته اليوم ولا أمته النجبية التي خدمت العلم والمدنية والانسانية جماء خدمة لا ينكرها الا العوام الجاهلون الذين سيف قلوبهم مرض وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يسمرون
فسلام على ثوب وسلام على ساكنها العظيم وسلام على أمته النجبية وعليكم اجمعين

رأس السنة الهجرية^(١)

هل الهلال فحبوا طالع العيد	حيوا البشير بتحقيق المواعيد
ياحرف شك ستلقانا على ثقة	وقد عقدنا المني في نون توكيد
كان حسنك هذا وهو رائعتنا	حسن ابكر من الافقار مولود
لله في اخلق آيات واعجبها	تجدد روعتها في كل تجدد

فنيان مصر وما ادعو بدعوتكم	سوى مجيبين احرار مناجيد
سوى الاهلة من علم ومن ادب	مؤمنين لفضل غير مجحود
المستسر شعار المنتدبين	العاملين بمفرز منه مقصود
سيف العين رمز ليقات يحمده	وفي النهي رمز جد غير محدود
ما زال من مبداء الدنيا ينبثنا	ان التمام بمسعاة ومجهود
فان تسيروا الى الغايات سيرته	الى الكمال فقد فزتم بمنشود

(١) خليل افندي مطران من كبار شعراء سورية نزلاء مصر قالما في رأس هذه السنة الهجرية والاحتفال بها

اليوم عيد به معنى السرور لكم
رسالة الله لاتنهي بلا نصب
رسالة الله لو حلت على جبل
ولو تحملها بحر لشب لظى
فليس بدعا اذا ناء الصفي بها
يثوي الترحل عن اهل وعن وطن
يكاد يمكث لولا ان تداركه
ولم يكن بدوه يوما لتعيد
يشق الامين وتغريب وتكيد
لانك منها واضحي بطن اخدود
وجف وانها ل فيه كل جلود
وبات في الم منها وتعيد
جاراً ثليه بقلب منه مكود
امر الاله ل امر منه موعود

فاذ غلا القوم في ابدائه خطلا
دعا الموالين ازماعا لهجرته
مضى هو البده والصدى بوجه
موليا وجهه شطر المدينة في
حتى اذا اتخذ الغار الامين حى
حنا عليه فما مثواه منه سوى
باللعقيدة والصدى في سهر
ان العقيدة ان صحت وزلها
اما الذين بقوا من صحبه فتلوا
ما جند قيصرا وكسرى اذا انفخروا
كانهم في الدجى والنجم شاهد
في حيلة الله ما شئت اسنتهم
وشردوا تابعيه كل تشريد
فلم يجه سوى الزهط الصناديد
يفار الحزن في قفراء صنفود
ليل اغر على الادهار مشهود
ونام بين صفاء نوم مجهود
مشوى الجنين من البكرية الرود
تؤذيه انعى ويكي غير مجود
مغنى القرى في حصن غير مهدود
ساربن في كل مسرى غير مرصود
كم ولا الاعزاء المطارد
فرسان رؤيا لشان غير معبود
فوق الظلال على المهرية التود

عاني محمد ما عاني بهجرته
وكم غزاة وكم حرب تجشعها
كذا الحياة جهاد والجهاد على
ادنى الكفاح كفاح المرء عن سفة
وضل زاعم سوء لا اضطلاع له
ليغتم العيش طلقا كل مقتم
لأرب في سبيل الله محمود
حتى يعود بتكسين وتأيد
قدر الحياة ومن فادى بها فودي
للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
فالجد اذ قال من يخاف فقد عودي
وليبيع في الارض شقا كل رعيد

ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه عدا الفناء بذكر غير ملحود

لقد علمتم وما مثلي ينبغي لكم
ما انتجت هجرة الهادي لامت
وسودتها على الدنيا باجمعها
بدا وللشرك اشباع توطده
والجاهليون لا يرضون خالفهم
موثلون عليهم من صنائعهم
مستكبرون اباة الضم غر حبي
لا ينزل الرأي منهم في تمزقهم
ولا يضم دعاء من اوابدهم
ولا يطبقون حكماً غير ما عقدوا
باسي حلم مبيد الجهل مرهته
اعاد ذاك الفتى الأُمِّي امته
لثلك تالية الفرقان في عجب
صعبان راضهما توحيد معشرهم
وزاد في الارض تمهيداً لدعوته
وبدئه الحكم بالشورى يتم به
هذا هو الحق والاجماع ابده
اي مسلمي مصر دين الجدد دينكم
طال التقاعس والاعوام عاجلة
هبوا الى عمل يحدي البلاد فما
سعيًا وحزمًا فود العدل ودمكم
لا تنعبوا لانتلوا ان علم انكم
تعلموا كل علم وانبعوا وخذوا
فكروا العقول من التصفيد تنظفونوا
مصر الفؤاد فان تبغوا سلامتها

لكن صوتي فيكم صوت ترديد
من صالحات اعدتها لتخليد
طوال ما خلقت فيها بتسويد
في كل مسرح باد كل توطيد
الا كعبد لم في شكل معبود
بعض المعادن او بعض الجلاميد
ثقال بطش لدان كالآماليد
الا منازل تشيت وتبديد
الا كل صبيح في غفر ابايد
لذي لواء على الاهواء معبود
واي عزم مذل القادة الصيد
شمالاً جميعاً من الفر الاماجيد
بل آية الحق اذ ينبغي تأكيده
واخذم بعد اشرارك بتوحيد
بعهده للمسيحين واليهود
ماشاء الله عن عدل وعن جود
فمن بفنده اولى بتفنيده
وبش ما قبل شعب غير مجود
والعام ليس اذا ولي يزدود
يفيدها قائل بالأمي سودي
وان رأى العدل قوم غير مودود
الى غدير من الافوام مورود
بكل خلق نبيه اخذ تشديد
وما لبثوا اقداما بتصفيد
فالشرق ليث وقد صحت بفؤاد

الشرق نصف من الدنيا بلا عمل سوى المتاع بما يضي وما يودي
الغرب يرقى وما بالشرق من هم سوى التفت الى المائي وعديد
تشكو الحضارة من جسم اشل به شطر يعد وشطر غير معدود

ابناء مصر عليكم واجب جليل لبعث مجد قديم العهد مقتود
فاليرجع الشرق مرفوع المقام بكم ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد
ما أجل الدهر اذ باقي وأر بعنا حقيقة الفل والذكرى بتمجيد
والشرق والغرب معوانان قد خلصوا من حاسد كائد كيداً لمحدود
صنوان بران في علم وفي عمل حران من كل نقييد وتعيد
لاقل يخطي فيه الخير بعضها الا تداركه الثاني بتسيد
ولا خصومة الا في استباقها لما يعم بنفع كل موجود

...

هذي الثمار التي يرحو الانام لها من روضكم كل نام ناسر العود
لمصر والشرق بل للخالقين معاً دع زعم كل عدو الحق مرید
جوزوا على بركات الله عامكم فقد تبدل مخوس بمسعود
رجاؤكم ابدأ مل^١ النفوس فما ينفي بحسن ولا يوهى بشديد
بدا الفلاح وفي هذا الهلال بكم بشرى التمام لوقت غير ممدود
غدا نرى البدر في طرس السماء محاً بخاتم النور زلات الدجى السود

الصيد في انكلترا

لا يخفى ما في الصيد من المنافع الاقتصادية فان بعض الافطار لتوقف حياتها على الاكثار منه فان سيف انكلترا مثلاً ٤٥٦ مرب كلاب وتكلف النفقة على كل واحد منها ٢٥ الف فرنك في السنة ويقدر ما يصطادون من المرات في الاسبوع ٠ فاذا صادوا اربع مرات في الاسبوع مثلاً يكلف في السنة ١٨٦٢٥٠٠٠ فرنك كل مرب من الكلاب وبمجموع ما تنفقه انكلترا على كلابها ١٨٦٢٥٠٠٠ فرنك ويلزمها ما نسا الف حصان للصيد وثمن كل واحد منها تعدل قيمته بالف وخمسمائة فرنك فمجموع قيمتها اذا اثنا عشر مليون فرنك وتكلف نفقة كل حصان في السنة ١٢ فرنك اي ثمانية ملايين فرنك من حيث المجموع ويقدر ان ما يأتي من ارباح الصيد في انكلترا للقباز وارباب المزارع وغيرها

بخمسين مليون فرنك يستفيد منها الفلاحون وتجار الخيل والسياس والسروجيون والخياطون وسكك الحديد والحوذيين وارباب الفنادق والنصابين والحراس وغيرهم واذا بطل الصيد يفقد هؤلاء ملايين من الفروكات يلتفعون بها القوام حياتهم

طالبة السوريس

بلغ عدد طلاب سورية الذين يتلقون العلوم المختلفة في مدارس اوربا ولاسيا في فرنسا خمسين طالباً أكثرهم من دمشق وبيروت

تبدل الاهوية

لا يزال الشيوخ في بلاد الشام يذكرّون ان الامطار والثلوج كانت لتصل سلسلتها منذ خمسين عاماً اياماً وايالي تمنع الناس عن الخروج في الاسواق في المدن والفلاحين عن تعهد حقولهم وحدائقهم في القرى مدة طويلة وقد بطل ذلك اليوم فتبدلت تلك الثلوج والامطار الغزيرة ببرد وجليد بدوم اسابيع فيهلك الزرع والضرع كما حدث في الشهر الماضي فدام الجليد المضي زهاء شهر وتزلت درجة الحرارة الى سبعة تحت الصفر في الحال المعتدلة كدمشق مثلاً وذلك بالميزان المثوي وهلك نحو ثلث الماشية في بعض انحاء سورية لثقله المراعي وتضررت المزروعات الشتوية والاشجار المثمرة بالجليد المتصل وقلة الامطار المنعشة واذا دام الحال في احتطاب الغابات على هذا المتوال أصبح سورية جرداء مرداء على ماورد في محث غابات سورية من هذا الجزء . وهناك الضرر العظيم في قلة المياه في الصيف فتجف الجداول والانهار وتصبح أكثر الاصقاع الخصبه فاحلة كل هذا والحكام غافلون او متغافلون والسكان جاهلون او متجاهلون

شجرة الماء

بحث بعض العلماء في اميركا هذه الآونة في شجرة الماء التي بكثرة وجودها في الاصقاع القطبية من اميركا وذكرها كثير من ارباب الرحلات في سياحتهم وهي شجر كالصبار يحتوي جذعه كمية مهمة من الماء الذي يشرب واشهر هذه الاشجار شجرة البينزاكا وفيها عصير مائي بكثرة ويستخرج الماء منها باداة حادة من مدية او فأس تقطع بها رأس الشجرة واذا لم يجد السائح اداة فاطمة بكسر الاشواك منها ثم يحطم رأسها بججر كبير وبهذا ترفع طبقة غلظتها من ١٥ الى ٢٠ سنتيمتر فينزع لباً مغشى في ثقب يحوي نحو عشرة لترات من الماء فيسحقن اللب باليدين فيخرج منه سائل للذيذ يروي الظأ وهو ارق

من الهواء . وفي كل صبرة لتر الى ثلاثة لترات من الماء . ويغذ هنود اميركا من هذا الشجر مايروون به تلمأهم بعض اشهر السنة و يفضلون ماءها على كل ماء . ويستعملونه لطبخ البط وغيره من الطيور التي يصيدونها في تنقلاتهم . ومن هذا الشجر نوع اسمه ساكوارو له مثل خاصية الشجر المتقدم ذكره ولكن يمزج ماءه شي من المواد المرة . قالت النحلة التي تنقل عنها وقد دلت التجارب ان السياح لو كان معهم انبيق او آلة للتقطير لما صادفوا في سبيلهم صعوبة في اختيار الماء الجيد . وقد صنع احدهم آلة تحمل مع السائح تفي بهذا الغرض فيقطر بها في الحال من ثلاثين الى اربعين لتراً من الماء المنقطر السالم من مضار الماء الملوث في مثل هذه الواحات

هجرة الاوربيين

الظاهر ان قد اكتشف الولايات المتحدة الاميركية بمن تزلما من الاوربيين مهاجرين اليها منذ قرن اذ قد خف معدل قاصديها من اهم الممالك الاوربية . فقد كانت عدد من هاجر اليها من النساء والمجر سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠ الف فاصبح سنة ١٩٠٩ — ١٧٠ الفا وكان عدد المهاجرين من ايطاليا ٢٨٥ الفاً ذلك السنة فنزل الى ١٨٣ الفاً وكان المهاجرون الروسيون ٢٥٨ الفاً فتناقص الى ١٢٠ الفاً والانكليز من ٥٦ الفاً الى ٣٢ الفاً والفرنسيين من ٩٧٠٠ الى ٦٧٠٠ وسكان حنوبي أوربا يقصدون في الغالب الجمهوربة الفضية في جنوبي اميركا في تلك الجمهوربة نصف مليون من الاسبانيول وثلاثمائة الف من الطليان سيفي حين ان سكانها لا يتجاوزون السبعة ملايين منهم خمسة ملايين من الاهالي الاصليين

مدرسة الفنادق

عزمت باريزان تلشي لها مدرسة لتعليم ارباب الفنادق وليست باريز هي التي ابتكرت هذا الفكر بل سبقتها اليه سويسرا والمانيا وايطاليا يعلمونهم كيف يرفهون السائحين والنازلين ويستجمعون صفات الراحة والمتن . وفيها تاتي دروس نظرية وعملية يفهمها كل سامع فيتعلم فيها الطلبة علم مرعة الاستملاء والحساب والجغرافيا الوصفية وبعد دراسة ثمانية اشهر يطبقون ما تعلمونه بالنظر على العمل تحت نظارة العارفين والفاضلين

البساط المديني

اخترعوا بساطاً من نسيج اسلاك الحديد اشبه بـعريّة معدنية ذات حلق مسردة

يمد على ارض الغرفة التي يراد تدفئة ارجل الجالوس فيها خصوصاً الزوار الذين يدخلون مخدع الضيوف وارجلهم ترتجف من البرد . وهذا البساط من الحجر الجيري الكهربائي بواسطة آلات التنوير او الجرس الكهربائي . وهذه الآلة مغطاة بنسيج ملطف يمنع المعدن مما يضربه . وتنفذ هذا البساط في الساعة لا تتجاوز الخمسة سنتيات . وهكذا لم يكتشف اهل الغرب بما لديهم من ادوات الدفء من الموافد المنوعة ومنها بالكهرباء . وأخرى بالغاز وبعضها بالترول وأخرى بالفحم الحجري او بالحطب بل رأوا ان تدفأ الارجل ايضا في الحال وما ندرى ماذا يهديهم اليه البحث بعد ذلك للرفاهية والراحة

المعارف في يابان

بلغ عدد المدارس الابتدائية في يابان ٢٨ الف مدرسة وعدد مدارس المعلمين للتختم الابتدائي ٦٤ وعدد المدارس الثانوية ٣٧٠ و ٣ مدارس عالية لتخرج معلمي المدارس الابتدائية والثانوية و ٨ مدارس عالية للطالبة الذين لا يريدون الدخول الى كايي طوكيو وكيوتو اللتين تحتويان على ١٢ مدرسة عالية . هذا عدا ٤٩ مدرسة عالية للبحرية والحربية والطب والصناعات المختلفة . وعدد المدرسين في هذه المدارس كلها ١٢٥ الف مدرس وعدد الطلبة ٥٠٥٦٥٤٩٥ طالباً منهم ٥١٤٤١٠٠٠ في المدارس الابتدائية الاجبارية . ولا يعلم الدين في مدارس الحكومة

تدبير الغذاء

الصحة هي الثروة الاولى التي يجب الدفاع عنها ولا سبيل الى ذلك الا بالتدقيق في تدبيرها بالتغذية المعقولة والسير في العمل والراحة على ما يقتضيه تركيبنا وما خص به الخالق بني البشر من القوى الطبيعية والعقلية . فنحن لانحن استئثار الهواء ولا السير على الاقدام ولا التمام للراحة ونهمل امر عضلاتنا ونسي استعمال اعصابنا فنفتح بصنعنا الباب الى الجراثيم الضارة فتم احكاما وتحيط بنا خصوصاً وهي مستعدة الى التسرب على الدوام الى خلايانا لتعذب بها وتعيش . ولكن اذا احسنا الغذاء والعمل والراحة والنزهة والنوم وكانت لنا ارادة قوية يكون لنا من الصحة ما تغلب به في معترك هذه الحياة الاجتماعية

فقد قال الحكميم اليوناني : اعرف نفسك فاذا عرفت نفسك وعرفت مزاجك تضع لها تدبيراً صحيحاً من الغذاء والرياضة بنفعها . ومعلوم ان امزجة الناس اربعة المزاج المفاوي

او البلغمي والمزاج الدموي والمزاج العصبي والمزاج الصفراوي . ومن النادر ان يخرج الانسان عن احد هذه الامرجة الاربعة بل يكون مزاجه مؤلفاً من اثنين او ثلاثة منها ويكون احدها متغلباً على الآخر وهذا هو الذي يجب مراعاته في تدبير الغذاء والاعمال . والجهل بالمادة الغذائية من كل طعام من الامور التي لاتحتقر ومعرفتها اهم في قوام البنية مما يتوهم بعض العامة وذلك من الوجهتين الصحية والمنزلية .

وما المعدة الا بيت نار وقوده الاطعمة وعملها الكيماوي مع استنشاق الهواء يحدث الحرارة اللازمة لبقاء الجسم وتحويل ما يدخل فيه وما يخرج منه بقدر ما يتناوله من الغذاء . وقد حسب علماء منافع الاعضاء هذه الحرارة بحساب الكالوري فهم يقدرون معدل ما يلزم لرجل بالغ اشد من ٢٨٠٠ الى ٣٠٠٠ من الكالوري او قياس الحرارة . واليك الآن كميات الكالوري التي تنشأ من الطعام الاكثر استعمالاً وهي مقدرة بمئة غرام اي انك اذا تناولت ١٠٠ غرام من السمك تحصل ١١٣ من الكالوري : وفي السلمطة ١٢ من الكالوري وفي الملفوف ٢٧ وفي الثمار اليابسة ٣١ وفي البقول الخضرة ٣٧ وفي اللبن (الخليب) ٦٣ وفي البطاطا ٨٣ وفي اللحم ٩٤ وفي البيض ١٥٣ وفي الخبز ٣٥٥ وفي الارز ٣٤٥ وفي البقول اليابسة ٣٦٣ وفي السكر ٣٨٠ وفي الشوكولاتا ٤١٥ وفي الجبن ٤٦٦ وفي الزبدة ٧٥١ .

فلك ان تحصل على ٢٨٠٠ من الكالوري اذا تناولت ٦٠٠ غرام من الخبز او المتجنات يكون منها (١٥٣٠) من الكالوري و ٢٨٠ غراماً من اللحم منها ٣٦٣ و ٥٠ غراماً من السمك و ٣٠ من البيض و ٢٠٠ من البقول الطرية و ٥٠ من البطاطا و ٤٠ من البقول التشوية و ٤٠ من الثمار و ٢٠ من الزبدة و ١٠ من الجبن و ٢٠ من السكر الخ اي نحو كيلوغرامين من الغذاء كل يوم وهو ما يلزم المرء في الاربع وعشرين ساعة

ويستثنى من هذا التدبير من يعمل وهو جالس فان تناول هذا القدر ضاراً به بل يلزمه ٣٥٠ غراماً من الخبز و ١٥٠ من اللحم و ١٠٠ من البقول الطرية و ٢٠٠ من البطاطا و ٢٥٠ من اللبن و ٤٠ من السكر و ٢٥ من الزبدة و ١٥ من الارز و ١٠٠ من الثمار اي ما يكون منه ٢١٠٠ كالوري وعلى العكس فيمن يعمل اعمالاً تحتاج الى اتعاب الجسم فانه يحتاج ان يرفع درجة الكالوري من ٣٢٠٠ الى ٣٦٠٠ لا بزيادة ما يتناوله من اللحم فانه لا يحصل منه سوى عشرة في المئة مما يجب لنوام بنيتنا من الدمن والكربون والزلال بل يتناول الخبز واللبن والبيض واللوبياء والعدس والفواكه والسكر وفيها ٢٣ في المئة مما

يجب لنا. وان كيلوغراماً واحداً من البقول كالباقلية واللوبيا، والعدس والحمص انساوي ثلاث ليرات ونصفاً من اللحم والليرة خمسمائة غرام

ويحتوي الخبز واللبن والبيض على جميع المواد اللازمة للتغذية فهي غذاء تام ثم يجيء الارز واللحم على اختلاف انواعه والبقول الطرية وهي اقل في التغذية من الاصناف الثلاثة الاولى والسكر غذاء الامل ومولد القوة والمعوض عما فقده الجسم من التعب. والسمك نافع في التغذية لما فيه من القوسفور والفسفور دخل في تركيب بنيتنا واعصابنا فمن كانت اشغالنا عقلية او من كانوا في سن الطفولة من الاولاد ينبغي لهم ان يتناولوا من السمك اكثر من غيرهم ليساعد ذلك على نموهم. ويقول الدكتور مثنكوف الشهير ان من يشرب مصلي الحليب كل يوم يطول عمره ولا يهرم بالشيخوخة لان فيه باشلساً او جراثيم صغيرة تهلك الجراثيم المضرة التي يعيش منها ملايين في الاحشاء.

والحرشف (الارضى شوكي) تكثرفيه المادة القابضة وهو مقو يمنع الاسهال ومدر للبول. والمفوف صعب الهضم لا يلائم المعد الضعيفة. والباذنجان ملين للبطن ويسميه الافرنج مكسنة الاحشاء ومن خصائصه هو والكرات انهما يصفيان اللون. والبقلة الحامضة (الحمض) تسهل الهضم ومن كان فيهم استعداد لمرض الحصاة ينبغي لهم الامتناع عنها بالكلية. والبندورة مقبلة ومرطبة وعلى المصابين بالنقرس والحصاة والرثية (داء المفاصل) ان يمتنعوا عن تناولها. والكرنس الذي عسر الهضم والاخذ منه باعتدال يقوي من ضعفت اعصابهم واذا تناول منه المصاب بالنقرس يكون له كالتوابل اللطيفة. والهلبيون مدر للبول ويجب تناوله طرياً. والبطاطا ناعمة لارباب المعد القوية وارباب المعد المتعبة ينبغي لهم تناولها مبروثة. والخس مرطب ونافع للتهاب الاحشاء وامراض الكلى. والبقدونس مقوم مبهج معرق مدر للبول قاتل للديدان دافع للحمى يقوي الشهوة للطعام ويسهل الهضم. وياك ان تسلق البقول بالما الغالي جداً لئلا تفقد املاحها وموادها الازوتية المركبة منها وفي التوت الافرنجي (القريز) كمية من حامض الساليسيليك ينفع المصابين بضعف المجموع العصبي وداء المفاصل. ومنقوع التوت الافرنجي من احسن المتويات للاعصاب وهو من افيد ما يكون لمن انهم كتمت الاشغال العقلية. والتوت الشوكي كالتوت الافرنجي وهو ايسر على الهضم. والكرز نافع للمصابين بالسويداء (هستريا) ومقاوم للرثية. والخواخ نافع للمصابين بالبول السكري وللصابين بقرح في المعدة. والتفاح نافع في تشنج الاعصاب ومعرق. وبكثر في التين الاصل المهضم (اليسين

(pepsine) وهو نافع للمصدورين . والاجاص تغلب عليه البرودة فتضر ببعض المعدة . والليمون بقي من الحمى واذا اضيف الى القهوة يتففع كما تنفع الكينا . وهو احد علاج لفساد الدم . والبرتقال اخف الفواكه على المعدة . واللوز اليابس مغذ جداً وهو غذاء طبيعي نادر المثال . ويرى الدكتور اوندريهيل ان لب العنب يؤكل وحده اذا كانت صحة المرء حسنة فاذا كان في البطن اطلاق يؤخذ اللب مع القشر ويطرح البزر واذا كانت المعدة منقبضة ويراد به تسهيل الطبيعة يتناول اللب والبزر ويطرح القشر وبهذه الواسطة يكون العنب دواءً وفاكحة لا نظير لها .

والقهوة تورث الجسم قوة فهي من مضادات السحوم ومقوية للقلب والشاي في الصباح يقوي ويورث نشاطاً ويسهل التنفس واذا شرب بعد المشي او عمل متعب يورث راحة سريعة وينبه النشاط والاندام . وارباب الامزجة البلغمية يتطلبون مواد مقوية تصلح اجسامهم فعليهم بلحم البقر والغنم . ولباً ولحوم الارانب والحمل والتدرج (الديك البري) وان يتناولوا الخبز ناضجاً جداً بكمية وافرة وبقولا مرسة مسهلة وبقملون من المواد النشائية وتضر بهم الاطعمة الغير الناضجة والخس والهندباء والسبانخ والجزر وجميع البقول المرطبة والمسهلة . وعلى ارباب الامزجة الدموية ان يعتدلوا في مأكلهم ويشقشقوا بحيث لا يزيدون الكريات الحمراء في دمهم ويتناولون من اللعوم لحم العجل والفراخ والارنب واللين ويكثر من البقول والثمار المرة وتنفعهم القهوة الخفيفة ويقلون عن الالبازير والتوابل وكل ما يورث الحرارة في الجسم واذا كانوا مستعدين للعرق فالاولى ان لا يأكلوا عملاً من شأنه منع .

وعلى ارباب الامزجة العصبية ان يستعملوا المواد اللطيفة اللذيذة لغذائهم مثل البيض والفراخ واللين المطبوخ واسماك الانهار ويمتنعوا عن المبهجات مثل القهوة والشاي وغيرها والخس والكرفس من انفع البقول لهم فان في عصر الخس مسكناً لاعصابهم وفي الكرفس التي وقاية لهم من الاضطرابات فهو يقوي الاعصاب وربما نفع في ضربات القلب . وعليهم ان يقللوا من تناول الطعام اي يعتدلون جداً ولا يأخذون مالا يوافق اذواقهم من الطعام بثة .

وعلى ارباب الامزجة الصفراوية ان يفضلوا الاطعمة الغليظة ويمتنعوا عن المواد الدهنية والنشائية ويتناولوا من البقول والارز ولا يتناولون القهوة . والثمار الناضجة اللذيذة توافق امزجتهم . والخس والبندورة نافعان لهم والبندورة محسنة الكبد .

والاجدر بسكان البلاد الحارة ان يكثر من البقول وبسكان البلاد الباردة ان يكثر من اللعوم والمواد الدسمة نافعة لهم ايضاً .

والخبز الطري غير نافع للصحة لانه لايجود عليك فيعسر على المعدة هضمه وربما
احدث مع الزمن اضطراباً في الدورة الدموية او اوجاعاً في الرأس وآلاماً في المعدة وسوء
هضم . والخبز السخن الذي يتناوله بعضهم في الصباح وعليه شيء من الزبدة سم نافع .
ومن المشبهات للطعام الثريد البارد الخالي من الدهن يتناول قبل الاكل بساعة
فيكثر به سيلان اللعاب في المعدة فتستدعي الطعام ورأى بعض العلماء ان احسن مقبل
ما يعمل من مثقوع ملعقتين من بزر الجزر في نصف لتر من الماء الغالي يؤخذ بين الطعام
والطعام محلى بالعسل فيجود الهضم وتزيد الشهوة للطعام

واذا ساء الهضم معك تخير دواء سريع قريب ان تشرب شراباً حاراً . فقد قالت
احدى المجلات الطبية ان من خصائص المشروبات الحارة ان تسكن الغشاء المخاطي
في المعدة وتعديل احيانا التأثيرات المؤلمة التي يشعر بها بعد الاكل فهي تقوي الوظائف
المعدة . والظاهر ان اليابانيين بلغوا مابلغوه من الصبر وجودة الصحة باستعمالهم الاشربة
الحارة لانهم يتناولون في كل المواسم ماء حاراً او شراباً حاراً ويقولون ان الماء البارد يشد
الاطراف والزعامى (فص الكبد) والرئة ويحدث السعال ويطفي الحرارة الطبيعية
التي تديم الحياة

وعليك يا هذا ان تنظم اوقات طعامك فذلك يسهل على الخواص ان تأخذ
حظها من الطعام والهضم وتعمل عملها وتستعد لقبول غيره اذا وقت لها وقتاً وعليك
ان لا تسرع في خضم طعامك وقضه بل ان تمضغ كثيراً حتى لا تضطر المعدة ان تعمل
ما كان من شأن اسنانك ان تعمله من طحن الطعام . ومن الضروري ان تغلب اسنانك
على اللقمة عشرين مرة وكل طعام عليك جيداً كان اكثر في التغذية من طعام ازورد
ازرداداً مريعاً فقد ورد في الامثال الافرنجية من تأتى في اكله طال عمره وهاك الآن
معدل الساعات اللازمة لهضم انواع الطعام الاكثر استعمالاً .

دقيقة ساعة

١	الارز	
٣٠	١ البيض النيء . السمك النقوش وسمك سلجان	
٤٥	١ اغقاق المسلوقة	
٣٠	٢ اللوبيا والبطاطا المقلوة . الدجاج المدي والبط المشوي	
٤٥	٢ البيض المسلوقة والفراخ المحمصة	

- ٣ اللبن المطبوخ ولحم الضأن المشوي والبفتيك
 ٣ ١٥ التفانق الباردة
 ٣ ٣٠ السمك المقلي ولحم البقر المشوي
 ٣ ٣٠ الخبز الطري والبيض المقلي والجبن

ولحم الصيد، امعدا الطيور ثقيل على الهضم يحتاج من ٤ الى ٥ ساعات. هذا ما لفتناه من اقوال احدث علماء الصحة من الغربيين وعلى المرء ان يكون حكيم نفسه في تحميل معدته ومزاجه ما يطيق وان يراقب خروج الطبيعة مراقبة تامة فان امراض التهاب الكلي وسوء الهضم والتهاب الامعاء والزائدة الدودية كلها تنشأ من القبض واذا رأى الخروج قد ابطأ في الصباح فعليه ان يستعمل التمسيد قبل ان يقوم من سريره وذلك بان يضع رجله تحت ظهره ويضغط بيده على بطنه فيبدأ بفهمز الموضع القريب من السرة ثم يصل الى الخالب فيمر يده على صورة قوس حتى ينتهي الى الخالب الايسر. وهنا امر يجب التنبيه له لانه داخل في صحة الجسم وهو ان المسكرات على اختلاف انواعها ضارة بالصحة بحسب رأي علماء اوربا انفسهم يضر قليلها وكثيرها اخلاقا لمن يهرفون بما لا يعرفون ويقلدون على العمياء وهم جاهلون ولا سيما في هذه البلاد المعتدلة الجيدة المياه القليلة الغش في الماء كولات على الجملة

مخطوطات ومطبوعات

المنهج الاحمد

ألف العرب يوم كان علماءهم يحسنون التأليف طبقات لرجال كل فن وعلم ذكر منهم صاحب كشف الغنون طبقات الادباء (مطبوع) لابن الانباري المتوفي سنة ٥٧٧ وطبقات الاصبهانية لابن حبان البستي (٣٥٤) وطبقات الاصوليين للسيوطي (٩١١) وطبقات الاطباء (مطبوع) لابن ابي أصيبعة (٦٦٨) وطبقات الامم لصاعد ولاين سميد المغربي وطبقات الاولياء لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات البيانيين للسيوطي وطبقات التابعين لابن النجار (٦٤٣) وطبقات الثعلبي الموسوي والطبقات الجلالية للجلال الدواني (٩٠٨) وطبقات الجنان وطبقات الحفاظ (مطبوع) للذهبي (٧٤٨) وطبقات الحكماء لابن ساعد (٥٤٨) وطبقات الحكماء (مطبوع) للنفطي (٦٤٦) وطبقات المنيبية وذو بها وطبقات الخفية

وذبولها وطبقات الخطاطين للسيوطي وطبقات الخواص الزبيدي (٧٩٣) وطبقات الرواة
 خليفة بن خياط ومسلم بن حجاج والطبقات السنية في تراجم الحنفية للقمي الغزي
 (١٠٠٥) وطبقات الشافعية للسبكي (طبع) وذبوله وطبقات الشافعية للبخاري (٨٩٤)
 وطبقات الشعراء لابن تيمية (٢٩٦) وذبخل فيها كتب كثيرة مثل شعراء الزمان وقلائد
 العقيان (مطبوع) وعقود الجمان والاشارة والامام الشعراء وكتاب النساء الشعراء
 واصداف الاوصاف وطرف الادباء ومروج الزمان والباهر وانموذج الشعراء وجنى الجنان
 والقرة الطامعة والدرر الناصعة ومجم الشعراء وشعراء الاندلس والكتب المؤلفة في
 الشعراء كثيرة منها يتيمة الدهر (مطبوع) للثعالبي ودمية القصر (مطبوع) للباخرزي وزينة
 الدهر في لطائف شعراء العصر للبخاري وفريدة القصر للاصفهاني والملاح المصرية
 لابن النطاع والانموذج في شعراء النبروان لابن رشيقي والحديقة لابي الصلت أمية بن
 عبد العزيز ومر السور للفرزوني وكتاب عمارة البيت في شعراء عصره والمختار في النظم
 والنثر لابن بشرون الصقلي وطبقات الشعراء بالاندلس لابن ربيعة (٣١٠) والبارع
 واليمنية والخربدة ومتعلقاتها وخبايا الزوايا والباهر ونحو الشعراء والدرر والغرر والحديقة
 وطبقات الصحابة والتابعين للبصري (٢٣٠) وطبقاتهم لابن مندة (٣٩٥) واسد الغابة
 (مطبوع) وطبقات ابن سعد (مطبوع) والطبقات الصدرية وطبقات الصوفية للنيسابوري
 (٤١٢) وطبقات الطالبين للحسيني (٥٨٨) وطبقات العلماء لابن حميدة (٦٣٠) وطبقات
 العلوم للابن ورد (٥٠٧) وطبقات عماد الدين بن كثير (٧٧٤) وطبقات الفرسان لابن
 مثنى (٥٢١) وطبقات الفرضيين للسيوطي وطبقات الفقهاء للهمداني (٥٢١) ومثله لابن
 حبيب المالك (٢٤٠) وطبقات الفقهاء والمحدثين للبيهقي بن عدي (٢٠٧) وطبقات
 فقهاء ورؤساء الزمن لابن سمر الجعدي (٥٨٦) وطبقات الفراء للذاني (٤٤٤) وصنف
 فيها الجزري (٧٣٣) اجمع كتاب في هذا النوع والذهبي (٧٤٨) وذيله غيرهم وطبقات
 الكتاب للسيوطي وطبقات اللغويين والنحاة له «مطبوع» وآخر للاشبيلي (٣٧٩) وطبقات
 الفقيه للسبكي وطبقات القاضي وطبقات المالكية لابن فرحون «مطبوع» (٧٩٩)
 وطبقات المتكلمين لابن فورك (٤٠٦) وللقاضي عياض بن موسى اليحيى سماء ترتيب
 المدارك والمزباني اخبار المتكلمين وطبقات المجتهدين لابن كمال باشا (٩٤٠) وطبقات
 المحدثين لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات المعبرين لابن الخلال وطبقات المعتزلة «طبع قطعة
 من» لالناسي عبد الجبار وطبقات المفسرين للسيوطي وغيره وطبقات النحاة للمبرد (٣٨٤)

وطبقات السابغين الحسيني «٥٨٨» وطبقات النساك لابن الاعرابي «٣٤٠» ومطبقات همدان
 لابن الانطاكي وغير ذلك مما هو مطبوع مثل وفيات الاعيان لابن خاكان وذيله للصالح الكندي
 وفي خزانة الكتب الظاهرية بدمشق كتاب طبقات الخبابة لابن رجب قال كاتب
 جلبي : طبقات الخبابة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الخبلي الفراء الشيد
 سنة ٥١٦ صاحب الجرد في مناقب الامام احمد وقد جعل هذه الطبقات تلى سير الطبقات
 الاولى والثانية على حرف الميم وما بهما على فندم العمر والوفاة وانتهى فيه الى سنة
 ٥١٢ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الخبلي المشوفي
 سنة ٧٩٥ وصل فيه الى سنة ٧٥٠ ثم ذيله العلامة يوسف بن حسن بن احمد الخبلي المقدسي
 مرتباً على الحروف فرغ من تأليفه سنة ٨٧١ وذيله ايضا الشيخ نبي الدين مفلح اه .
 والغالب ان عبد الرحمن بن محمد العمري العليحي الخبلي من اهل القرن العاشر
 ذيل على ما ذيله ابن قلقح في مجلد ضخ ^(١) اسماء المنهج الاحمدي في تراجم اصحاب الامام احمد
 وضمن الآن تتكلم عليه وستكلم في فرصة أخرى على طبقات ابن رجب . قال العليحي
 في مقدمة كتابه بعد البسملة والحمدلة : اما بعد فهذا مختصر استغفرت الله تعالى في جمعه
 وترتيبه وسأله العونة لي بفعله وتهذيبه يتضمن نبذة من ترجمة اماننا المجل والخبير
 المفضل الرائي ابي عبد الله احمد بن محمد بن جليل الشيباني امام اهل السنة . وآخر
 المجتهدين من الائمة رضي الله عنه وارضا وجعل الجنة مثقبه ومشواه واحواله ومناقبه
 وذكر محنته وتاريخ مولده ووفاته وتراجم اصحابه رحمة الله عليهم فاذا ذكر اولاً ما يسر من
 مناقب الامام رضي الله عنه ثم اذكر اصحابه الذين عاصروه فأبتدي به بذكر من توفي
 منهم قبله ثم اذكر من توفي بعده ثم اذكر من لم توارث وفاته وعند انتهاء اسماء الاصحاب
 من الطبقة الاولى ابين منهم من اشتهر من اعيان اصحابه من الفقهاء الذين كانوا على مذهبه
 في الاصول والفروع ونقلوا عنه الفقه ونقل عنهم الى من بعدهم الى ان وصل اليانا وأمرد
 اسماءهم متواليه لتتقروا عن غيرهم من اصحابه الذين قرأوا عليه الحديث وغيره ورووا
 عنه من غير المشهورين بالتذهب بمذهبه في فروع الفقه ثم ذكر اسماء الاصحاب من بعد
 الطبقة الاولى مرتباً على الطبقات والوفيات ومن لم اطلع على تاريخ وفاته ذكرت اسمه
 وما وقعت عليه من ترجمته والعصر الذي كان موجوداً فيه ان علمته وواجزت لفعله حسب
 الامكان وحذفت الاسانيد مما رويته فيه من الاحاديث الشريفة في بعض التراجم

(١) من المخطوطات الموجودة في خزانة كتب اساتذة السيد محمد المبارك

طلباً للاختصار وسميته بالمنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد
وقد وقع هذا الكتاب في زهاء ٨٥٠ صفحة من قطع الوسط وكان الفراغ من نسخه سنة
١١٩٥ على يد عبد الفتاح شطي البغدادي . وعليه مخطوط بعض بني الشطي وقد قال
المؤلف في آخره : وهذا آخر ما تيسر ذكره من فقهاء الختابة رحمة الله تعالى عليهم اجمعين
ولم اترك ذكر احد ممن يصلح ان يذكر في الطبقات الا من لم اطلع على امره فتعذر ذكره في هذا
الختصر جماعة من المتقدمين لم يذكرهم القاضي ابو الحسين وجماعة من المتوسمين لم يذكرهم
الحافظ ابن رجب وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم القاضي القاضي بيهان الدين بن مفاج
وهذا الكتاب مجموعة نفيسة لعلماء هذا المذهب في الف سنة وفيه تراجم كثير من
المشاهير فقيه عدا ترجمة الامام احمد ترجمة ابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية
والقاضي ابى يعلى والقاضي يحيى بن اكرم والوزير ابن هبيرة وعشرات غيرهم من كانوا
مفخره احمد بن حنبل وعنوان التقى والعلم وسعة التأليف والوعظ والارشاد . وتراجم
من لقوا الا لافي في سبيل تأييد مذهبهم ولا سيما في الامتناع عن القول بخلق القرآن
وهي المسألة المختلف فيها بين العلماء على عهد المأمون الخليفة العباسي ومن بعده وذلك
مثل احمد بن نصر الذي قتل في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن اخذه
الواثق فقال له ما تقول في القرآن قال : كلام الله قال : اقترى ربك في القيامة . قال :
كذا جاءت الرواية واغلظ على الواثق في الخطاب وقال له : ما ياصبي . فدعا الواثق
بالصمصامة وقال : اذا قتلت اليه فلا يقوم احد معي فاني استسب خطاي الى هذا الكافر (?)
الذي يعبد رباً ولا يعبد الله ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم امر بالنطح فاجلس عليه
وعمر مقيد وامر بشد رأسه بجعل وامرهم ان يمدوه ومشى اليه حتى ضربت عنقه وامر
بجعل رأسه الى بغداد فنصب في الجانب الشرقي اياماً وفي الجانب الغربي اياماً .
وفيه امثلة من الشدة عرمل بها الختابة وعاملوا بها في قرون مختلفة ولا سيما في القرون
التي اثار ثارتها التعصب المذهبي وامثلة من معتقد رؤساء المترجمين في المسائل المختلف
فيها مثل قول ابى بكر بن ابى داود السجستاني من قصيدة :

وقل غير مخلوق كلام مليكتنا بذلك دان الانبياء وانصحو

ولا نفل في القرآن بالوقف قائلاً كما قال اتباع لهم واصبحوا

الى ان يقول بعد ايراد ما يجب الاعتقاد به

ولا تكفرون اهل الصلاة وان عصوا فكلمهم بعني وذو العرش بصفيح

ولا تعتقد رأيي الخوارج انه مقال لمن يهواه يردى ويفضح
ولا تلك مرجياً لعوباً بدينه الا انما المرجي بالدين يرح
ومثل ذلك قول ابي الخطاب البغدادي في هذا المعنى من قصيدة
وان كتاب الله ليس بمحدث على السن لتلو وفي الصدر يجمع
وما كتب الحفاظ في كل مصحف كذلك ان بصرت او كنت تسمع

ومثل ذلك قول ابي الخطاب الكلاوذني من قصيدة

قالوا فهل لله عندك شبه قلت المشبه في الجسيم الموصد
قالوا فهل هو في الاماكن كلها قلت الاماكن لا تحيط بسيدي
قالوا فتزعم ان على العرش استوى قلت الصواب كذاك خبر سيدي
قالوا فما معنى استواء ابن لنا فاجبتهم هذا سؤال المعتدي
قالوا فانت تراء جسماً قل لنا قلت الجسم عندنا كمال الحد

ومن اطال في ترجمتهم الوزير ابن هبيرة العالم الذي صنف في وزارته كتاباً في ذكر مسائل
الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الائمة الاربعة المشهورين وجمع عليه ائمة المذاهب واوفدهم
من البلدان اليه لاجله بحيث انه انفق على ذلك مائة الف دينار وثلاثة عشر الف دينار
وحدث به فجمع الخلق العنايم لسماحه عليه وكتب به نسخة لخزانة المستنجد وبعث ملوك
الاطراف ووزراء واولادها فاستنسخوه نسخاً وتقلوها اليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد
واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد
هذا بعض ما حواه الكتاب من الفوائد وجبذا لو صحت همة الخبايلة على طبعه بعد
ان طبع الشافعية والمالكية والحنفية والامامية طبقات رجالهم فكتب الطبقات مفيدة
من عدة وجوه وليس احسن في تصور حال زمن من الرجوع الى سير رجاله وما قالوه
وفعلوه وحدث لهم واحداثوه

عبر الأردن

ظهرت في عالم المطبوعات في المانيا ثلاث مجلدات للرحالتين الالمانيين يرونو ودمانسكي
في وصف استتاع عبر الأردن لنجاة متممة للرحلات التي كتبها الاور ييون على فلسطين
وما والاها وقد وصف الصقع الواقع في لواء الكرك اليوم وهو من نهر الزرقا الى بئر اي وادي
موسى وصفاً جغرافياً مدققاً والطريق الروماني من مادبا الى وادي موسى والطرق
المشعبة منه ووصفاً وادي موسى واذرح والطريق الروماني من اذرح الى عين حدوة

والعقبة . ومن الخرائب الرومانية واليونانية والعربية والنبطية ما لم يشر اليه السائحون في تلك الارياض من قبل . ومن الآثار التي وصفت مع صورها محطة الحج وهو حصن روماني قديم وكثيرة وذات رأس وطوان وأذرح وفي هذه معسكر روماني وكنيسة يونانية وقد استغرق الكلام على وصف وادي موسى زهاء ثلثمائة صفحة وفي المناظر التي أوردتها السائحان في كتابهما تمثل للقاري الأربعة صفوح الرئيسة المطلة على الوادي ثم وصفا أشكال النواويس المحفورة في الصخر وصفا تاريخيا والأبراج المحفورة هناك هي بيوت كان يسكنها سكان وادي موسى . ومعظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عهدها إلى الملك ارتياس الرابع (أي ٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده) وليس في وادي موسى أعمدة من قبل الحكم الروماني عليها . ووصفا قصر فرعون وخزنة فرعون ورجعا بما رأياه من صور أبي الهول وإيزيس وروثوس الحلان أن تلك البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمستلثان الموجودتان في الحجر تمثلان ربي النبطيين دوزارس واللات ويستدل منها أنها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الأقل . وقد دخلت المدينة اليونانية إلى وادي موسى على عهد البطالسة وبذلك يستدل على اختلاط العنصرين المصري والسوري . ولم تستقل مملكة النبط هذه إلا في أواخر القرن الثاني عند ما انحطت دولة البطالسة والسلاوقيين وظل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية إلى عهد ارتياس الرابع (٨٥ - ٦٠ ق م) ولما تجزأت المملكة النبطية إلى ولايات رومانية بقيت محتفظة بمكانتها . وفي أواخر القرن الثالث للمسيح عاد إلى وادي موسى استقلاله . والغالب أن غارات الساسانيين الفرس على هذه البلاد اضطرتهم أن تنقطع عن إنشاء القبور وصك النقود . وقد وصف المؤلفان ٨٥١ مصنعا من مصانع بترا من مثل القبور والمعابد والمذابح وأجادا في وصف جبل هرون ووادي صبرة والحدود الشرقية من هذه الولاية العربية من معان في الجنوب الشرقي من بترا إلى بصرى وأطلقا عنان القلم لوصف ما وقعت أنظارها عليه من العاديات والمصانع ووصفا بلاد حوران ولاسيما درعا والسويداء وأتيل وقنرات وقرى البجعة وما فيها من الآثار مع بيان المسافات وطبائع البلاد ورسمها وتلقاها بالصور والمصورات وثغما كتابهما ببيان تخوم البلاد العربية وتقسيم مدن سورية وفلسطين وليبية والعربية كما كانت في عصور مختلفة كل ذلك مع أسماء الملوك الأقدمين الذين حكموا البلاد .